



الأزهر الشريف  
قطاع المعاهد الأزهرية

# تيسير تفسير النسفي جزء الذاريات

للصف الثالث الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٣٩ - ١٤٤٠ هـ

٢٠١٨ - ٢٠١٩ م

azhar.edu

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء الذاريات» المقرر على الصف الثالث الثانوي، توخينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

١ - تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة.

٢ - حذف القراءات غير المتواترة، والتي لا تتعلق بها المعنى.

٣ - عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.

٤ - تخريج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.

٥ - استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.

٦ - ذكر الدروس المستفادة من السورة.

٧ - إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.

والله نسأل أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيل الثواب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف

azhar.edu

## أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

- ١ - يعرف مقاصد سور جزء الذاريات، وما اشتملت عليه من موضوعات.
- ٢ - يعرف معاني المفردات الغامضة.
- ٣ - يقف على التفسير التحليلي للآيات.
- ٤ - يقف على أوجه الإعراب.
- ٥ - يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن من خلال سور جزء الذاريات.
- ٦ - أن يدرك الطالب عظمة المنهج القرآني في هداية الفرد وحماية المجتمع.
- ٧ - يستنبط الدروس المستفادة من السور.

\*\*\*

azhar.edu

## سورة الذاريات

(مكية<sup>(١)</sup> وهي: ستون آية)

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمَلَتْ وَفَرَا ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمَقَسَمَتْ أَمْرًا ﴿٤﴾  
إِنَّمَا تَوَعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾

### البحث حق:

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾ الرياح؛ لأنها تذر التراب وغيره، والواو للقسم، والذاريات مُقَسَّم به ﴿ذَرَوْا﴾ مصدر (مفعول مطلق) منصوب، والعامل فيه اسم الفاعل (الذاريات) ﴿فَأَلْحَمَلَتْ﴾ السحاب لأنها تحمل المطر ﴿وَفَرَا﴾ أي: ثقلاً من الماء، وهو مفعول الحاملات ﴿فَأَلْجَرِيَتْ﴾ الفلك ﴿يُسْرًا﴾ جرياً ذائراً، أي: ذا سهولة ﴿فَأَلْمَقَسَمَتْ أَمْرًا﴾ الملائكة؛ لأنها تقسم الأمور من الأمطار، والأرزاق، وغيرهما، أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك، أو تتولى تقسيم أمر العباد، فجبريل للوحي، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ في الصور، ويجوز أن يُراد بالذاريات الرياح لا غير؛ لأنها تنشئ السحاب، وتُقَلِّه، وتصرفه، وتجري في الجو جرياً سهلاً، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب ﴿إِنَّمَا تَوَعَدُونَ﴾ جواب القسم، و«ما» موصولة، (أي: الذي توعده)، أو مصدرية، (أي: وعدكم)، والموعود البعث ﴿لَصَادِقٌ﴾ وعد صادق، وصف الوعد بالصدق مبالغة، كعيشة راضية، أي: ذات رضا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ﴾ الجزاء على الأعمال ﴿لَوْفَعُ﴾ لكائن ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ هذا قسم آخر ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرائق الحسنة، مثل: ما يظهر على الماء من هبوب الريح، وكذلك حبك الشعر: آثار تشيئه وتكسره،

(١) أي نزلت قبل الهجرة على الراجح من أقوال العلماء.

﴿إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ٨ ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ٩ ﴿فَقُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُوتَ﴾ ١١ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ١٢ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ١٣ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٤

جمع حَبِيكَة، كطريقة وطرق، وعن الحسن: حُبُّكُهَا نجومها، جمع حباك ﴿إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي: قولهم في الرسول: ساحر، وشاعر، ومجنون، وفي القرآن: سحر، وشعر، وأساطير الأولين ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ الضمير للقرآن، أو الرسول ﷺ، أي: يُصْرِفُ عنه من صرف، الصَّرَف الذي لا صرف أشد منه وأعظم، أو يُصْرِفُ عنه مَنْ صُرِفَ في سابق علم الله تعالى، أي: علم فيما لم يزل أنه مصروف عن الحق لا يؤمن، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسما على أنهم في قول مختلف في وقوعه، فمنهم شاك ومنهم جاحد، ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك ﴿قُلْ﴾ لعن، وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ﴿الْخَرَّصُونَ﴾ الكذابون المقدرون ما لا يصح، وهم أصحاب القول المختلف ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُوتَ﴾ غافلون عما أمروا به ﴿يَسْأَلُونَ﴾ فيقولون - تهكما واستبعادًا واستهزاء - ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: متى يوم الجزاء، وتقديره: أيان وقوع يوم الدين؛ وانتصب اليوم الواقع في جواب الشرط بفعل مضمر دل عليه السؤال أي: يقع ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يفتنون: يحرقون ويعذبون ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: تقول لهم خزنة النار: ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، خبره ﴿الَّذِي﴾ أي: هذا العذاب هو الذي ﴿كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا بقولكم ﴿فَأَنَّا بِمَا نَعْدَا﴾ (١).



﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَاءً آنَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۖ ﴿٢٠﴾﴾

## جزاء المتقين وصفاتهم:

ثم ذكر حال المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: العيون جمع عَيْن والمراد: ينابيع الماء في الجنة بحيث يرونها، وتقع عليها أبصارهم، لا أنهم فيها ﴿ءَاخِذِينَ مَاءً آنَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب، راضين به، وآخذين حال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ قبل دخول الجنة في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم، وتفسير إحسانهم ما بعده ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و«ما» مزيدة للتوكيد<sup>(١)</sup>، و﴿يَهْجَعُونَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ والمعنى: كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل، أو مصدرية، والتقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، ولا يجوز أن تكون «ما» نافية، على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً ويقومونه كله ﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين، فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم فهم يكثرون الاستغفار منها، والسَّحَر: السدس الأخير من الليل ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ﴾ لمن يسأل لحاجته ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: الذي يتعرض للحرمان ولا يسأل الناس حياءً ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ تدل على الصانع، وقدرته، وحكمته، وتدبيره؛ حيث هي مبسوطة لما فوقها، وفيها المسالك والطرق للمتقلين فيها، وهي مُجَزَّأة؛ فمن سهل، ومن جبل، وصلبة، ورخوة، وطيبة التربة، ومالحة التربة، وفيها عيون متفجرة، ومعادن عجيبة، ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال، متباينة الهيئات والأفعال ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للموحدين، الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني.

(١) المراد زيادة إعراب لا زيادة معنى لأن كل حرف في القرآن له معنى علمه من جهله من جهله.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢) ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ (٢٣)

الموصل إلى المعرفة، فهم ناظرون بعيون باصرة، وأفهام نافذة، كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا يقيناً على يقينهم ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ في حال خلقها وتنقلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها، ولطائفها من الآيات الساطعة، والبيئات القاطعة على حكمة مدبرها، وصانعها، مع الأسماع، والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح وتيسرها لما خلقت له، وما سوى في الأعضاء من المفاصل، للانعطاف، والتثني، فإنه إذا تيسر منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ تنظرون نظر من يعتبر ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر؛ لأنه سبب الأقوات<sup>(١)</sup>، وعن الحسن، أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرمونه بخطاياكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: الجنة، أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا، وما توعدونه في الآخرة، كله مقدور مكتوب في السماء.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يعود إلى الرزق، أو إلى ما توعدون ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ قرأ (مثل) بالرفع حمزة والكسائي؛ على أنه صفة للحق، أي: حق مثل نطقكم، وقرأ غيرهم بالنصب، أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم، وعن الأصمعي أنه قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت:

(١) وهذا من قبيل المجاز المرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبب.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴿﴾

من موضع يتلى فيه كلام الله، قال: اتل عليّ، فتلوت: ﴿وَالذَّارِبَتِ﴾، فلما بلغت قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته، فنحرها، ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها، وولى، فلما حجبت مع الرشيد وطَفِقْتُ أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصْفَرَ، فسَلَّمَ عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (١)، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله، مَنْ ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى حلف، قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه.

### ضيف إبراهيم:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ ﴾ تفخيم للحديث، وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحي، ﴿حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الضيف للواحد والجماعة، كالصوم والزَّوْر بوزن الضيف، أي: الزائرون؛ لأنَّه في الأصل مصدر، وجعلهم ضيفاً؛ لأنَّهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم، أو لأنَّهم كانوا في حسابانه كذلك ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ عند الله؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢)، وقيل: خدمهم بنفسه، وأخدمهم امرأته، وعَجَّلَ لهم القرى، وهو ما يقدم للضيف ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ نصب بـ ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ إذا فُسِّرَ بإكرام إبراهيم لهم، وإلا فبإضمار اذكر ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ مصدر سادُّ مسد الفعل مستغنٍ به عنه، وأصله نسلم عليكم سلاماً ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: عليكم سلام، فهو مرفوع على الابتداء، وخبره

(١) سورة الأعراف . الآية: ٤٤

(٢) سورة الأنبياء . الآية: ٢٦

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥) فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴿٣٠﴾

مُحذوف، والعدول إلى الرفع؛ للدلالة على إثبات السلام<sup>(١)</sup>، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيَّوه به، أخذًا بأدب الله، وهذا أيضًا من إكرامه لهم، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أنتم قوم منكرون، فعرفوني من أنتم ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقرى: وهو ما يُقدِّم للضيف، من غير أن يشعر به الضيف، حذرًا من أن يمنعه، ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْهُ فَلَمْ يَأْكُلُوا ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أنكر عليهم ترك الأكل، أو حَثَّهم عليه ﴿فَأَوْحَسَ﴾ فأضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفًا؛ لأن من لم يأكل طعامك، لم يحفظ ذمامك.

عن ابن عباس رضي الله عنه: وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل الله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي: يبلغ ويعلم، والمبشر به إسحاق عند الجمهور ﴿فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَةٍ﴾ في صيحة، من صر القلم والباب، قال الزجاج: الصَّرة: شدة الصياح ههنا، ومحلّه النصب على الحال، والتقدير: فجاءت صارة، وقيل: فأخذت في صياح، وصرَّتها قولها: يا ويلتا ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطمت وجهها ببسط يديها<sup>(٢)</sup>، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها، كما يفعل المتعجب ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا عجوز فكيف ألد؟! كما قالت ﴿إِنَّا لَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الذي قلنا، وأخبرنا به ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾

(١) لأن دلالة الجملة الاسمية أقوى وأؤكد من الجملة الفعلية.  
(٢) ولعل هذا كان غير ممنوع عندهم أما في شريعتنا فليس منا من لطم الخدود.  
(٣) سورة هود . الآية: ٧٢.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٢٠) \* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثَجَرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

أي: إنما نخبرك عن الله تعالى، والله قادر على ما تستبعدين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه شيء، ولما علم إبراهيم أنهم ملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلاً في بعض الأمور<sup>(١)</sup> ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم؟ وما طلبكم؟ وفيهم أُرْسِلْتُمْ؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أُرْسِلْتُمْ بالبشارة خاصة، أو لأمر آخر أو لهما معاً ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثَجَرِمِينَ﴾ أي: قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ويسمى السجيل: وهو طينٌ أُدخل النار حتى صار في صلابه الحجارة<sup>(٢)</sup> ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة، من السومة، وهي العلامة، على كل واحد منها اسم مَنْ يَهْلِكُ به ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في ملكه وسلطانه<sup>(٣)</sup> ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ سباهم مسرفين كما سباهم عادين؛ لإسرافهم، وعدوانهم في عملهم، حيث لم يقتنعوا بما أُنِيبَ لهم ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في القرية، ولم يجر لها ذكر، لكونها معلومة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني لوطاً ومن آمن به ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: غير أهل بيت، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد؛ لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا<sup>(٤)</sup> ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ في القرية أو في القصة ﴿آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم.

(١) في بعض الأمور المهمة فضلاً عن تبليغ الوحي.

(٢) وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ﴾ سورة هود . الآية: ٨٢.

(٣) وحكمة التصريح بذلك المزيد من الترهيب والوعيد.

(٤) العطف بالفاء للدلالة على سرعة الأمر، والفاء عاطفة على محذوفات ثقة بإدراك العقل لها، أي: قاموا من عنده وجاءوا لوطاً فجرى بينهم ما جرى من الكلام فباشروا ما أمروا به.

(٥) أو الآية تدل على أن الذوات التي ثبت لها الإيمان قد ثبت لها الإسلام .

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَئِيلُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾

### الاتعاظ بهلاك المشركين السابقين:

﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾ معطوف على ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾، أو على قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً ﴾ على معنى: وجعلنا في موسى آية، كقوله: علفتها تبنًا وماء باردًا أي: وسقيتها ماء باردًا؛ حيث حذف الفعل للعلم به ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة ظاهرة، وهي: اليد، والعصا ﴿ فَتَوَلَّى ﴾ فأعرض عن الإيمان ﴿ بُرْكَئِيلُ ﴾ بما كان يتقوى به من جنوده وملكه، والركن: ما يركن إليه الإنسان من مال وجند ﴿ وَقَالَ سِحْرٌ ﴾ أي: هو ساحر ﴿ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ ﴾ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿ آتٍ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِ وَعُنَادِهِ، وَإِنَّمَا وَصَفَ يُونُسَ ﷺ به في قوله تعالى: ﴿ فَالْنَقَمَةُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ موجبات اللوم تختلف، وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فالكافر ملوم على مقدار كُفْرِهِ، ومرتكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿ فَأَخَذَتْهُ ﴾، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ هي التي لا خير فيها من إنشاء مطر، أو إلحاق شجر، وهي ريح اهلاك، واختلف فيها، والأظهر أنها الدَّبُور (بفتح الدال)؛ لقوله ﷺ: «نصرت بالصَّبَا»<sup>(٢)</sup> وأهلكت عاد بالدَّبُور<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> ﴿ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ هو كل ما رمَّ، أي: بلي وتفتت من عَظْمٍ أو نبات أو غير ذلك، والمعنى: ما تترك من شيء هبَّت عليه من أنفسهم

(١) سورة الصافات . الآية: ١٤٢ .

(٢) الصَّبَا: ريح شرقية .

(٣) الدَّبُور: ريح غربية .

(٤) رواه البخاري .



﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣ ﴾ فَتَوَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٤٤ ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ٤٥ ﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ٤٦ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ٤٨ ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾

وأنعماهم وأموالهم إلا أهلكته ﴿ وَفِي ثَمُودَ ﴾ آية أيضا ﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ تفسيره قوله: ﴿ تَمَنَّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فَتَوَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ العذاب، وكل عذاب مهلك صاعقة <sup>(٢)</sup>، ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾؛ لأنها كانت نهارًا يعاينونها ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ فَيَامٍ ﴾ أي: هرب، أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴾ ممتنعين من العذاب ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح؛ لأن ما قبله يدل عليه، أو واذكر قوم نوح، وقرأ (قوم) بالجر أبو عمرو والكسائي وحمزة، أي: وفي قوم نوح آية ﴿ مِّنْ قَبْلُ ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ كافرين ﴿ وَالسَّمَاءَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ بقوة <sup>(٣)</sup>، والأيد القوة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ <sup>(٤)</sup> أي: ذا القوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون من الوسع وهو الطاقة، والموسع القوي على الإنفاق، أو لموسعون ما بين السماء والأرض ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ بسطناها ومهدناها، وهي منصوبة بفعل مضمر، أي: فرشنا الأرض فرشناها ﴿ فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴾ نحن ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحيوان <sup>(٥)</sup> ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ذكرًا وأنثى.

(١) سورة هود . الآية: ٦٥ .

(٢) الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ثم يكون منه نار فقط، أو عذاب، أو موت، والصاعقة في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها كذا قال الراغب في المفردات ص ٢٨٩ .

(٣) وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة، وعليه فليس (أييد) جمع يد.

(٤) سورة ص . الآية: ١٧ .

(٥) لا بد من الإطلاق، والتفسير غير جيد ويميز فيها ثبت لما بعده من كلام الحسن، والعلم الحديث يظهر ذلك في الكهرباء والذرة وغيرها وهي دليل على أحديته سبحانه، قوله من الحيوان ضرب مثال وإلا فالقول بالعموم أولى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٥٠ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٥١ ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ٥٢ ﴿أَتَوَصَّوهُمْ بِهٖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ٥٤ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥ ﴿

وعن الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبحر، والموت والحياة، فعدّد أشياء، وقال: كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فعلنا ذلك كله، من بناء السماء، وفرش الأرض، وخلق الأزواج؛ لتذكروا فتعرفوا الخالق، وتعبدوه ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الشرك إلى الإيمان بالله، أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، أو مما سواه إليه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ٥٠ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ والتكرير للتوكيد، والإطالة في الوعيد أبلغ<sup>(١)</sup> ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل تكذيب المشركين الرسول ﷺ وتسميته ساحراً أو مجنوناً، ثم فسر ما أجمل بقوله: ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قومك ﴿مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ رموهم بالسحر، أو الجنون؛ لجهلهم ﴿أَتَوَصَّوهُمْ بِهٖ﴾ الضمير للقول، أي: أتواصى الأولون والآخرين بهذا القول، حتى قالوه جميعاً متفقين عليه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به؛ لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحامل عليه ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يحييوا عناداً ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ﴿وَذَكَرَ﴾ وعظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الدِّكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن تزيد في عملهم.

(١) أو: الأول لاتصاله بالأمر والثاني لاتصاله بالنهي.



﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٥٩﴾

### العبادة هي المقصود الأعظم:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ العبادَة إن حُمِلَتْ على حقيقتها، فلا تكون الآية عامة؛ بل المراد بها المؤمنون من الفريقين؛ دليله السياق، أعني ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنه إذا خلقهم للعبادة، وأراد منهم العبادة، فلا بد أن توجد منهم، فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾<sup>(١)</sup>، وقيل: إلا لأمرهم بالعبادة، وهو منقول عن علي رضي الله عنه؛ وقيل: إلا ليكونوا عبادًا لي، والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل عبادة في القرآن فهي توحيد، والكل يوحدونه في الآخرة؛ لما عرف أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة، دليله قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. نعم قد أشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم، ومن اشترى غلامًا وقال: ما اشتريته إلا للكتابة، كان صادقًا في قوله ما اشتريته إلا للكتابة، وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم، أو واحدًا من عبادي ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ قال ثعلب: أن يطعموا عبادي وهي إضافة تخصيص ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الشديد القوة، والمتين بالرفع صفة لذو ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ رسول الله

(١) سورة الأعراف . الآية: ١٧٩ .

(٢) سورة الأنعام . الآية: ٢٣ .

﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

بالتكذيب من أهل مكة ﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ نصيبًا من عذاب الله، مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة، قال الزجاج: الذُّنُوبُ في اللغة النَّصِيبُ ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي نزول العذاب، وهذا جواب النضر بن الحارث وأصحابه حين استعجلوا العذاب<sup>(١)</sup> ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: من يوم القيامة، وقيل: من يوم بدر، وقد نزل بهم العذاب الموعود يوم بدر، ولهم في الآخرة أشد العذاب. والله أعلم.

\*\*\*

(١) وهو المراد بقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ سورة المعارج . الآيتان: ٢٠١. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الأنفال . الآية: ٣٢.

- في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ استفهام للتشويق والتفخيم.

- في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ استعارة؛ حيث استعار الركن للجنود؛ لأنَّ فرعون يتقوى بهم.

- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ مجاز عقلي؛ حيث أطلق اسم الفاعل على اسم المفعول، والمعنى أنه ملام على طغيانه.

\*\*\*

## بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - لله أن يقسم بما يشاء من خلقه، للفت الأنظار إلى بديع صنعه تعالى.
- ٢ - الجنة تنال بالأعمال الصالحة.
- ٣ - إكرام الضيف من مكارم الأخلاق.
- ٤ - المقصود الأعظم من خلق الإنس والجن هو عبادة الله تعالى.
- ٥ - الرزق بيد الله تعالى لا غير.
- ٦ - اتخاذ العظة والعبرة من قصص السابقين.

\*\*\*

## الأسئلة

س ١: ما معنى: الذاريات؟ ولم سُميت بذلك؟ وما المراد بقوله تعالى:

﴿فَالْجَرِيدِ يَسْرًا﴾؟ وما نوع (ما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾؟

س ٢: لماذا أثبت القيامة وأكد الجزاء والحساب فيها بأسلوب القسم؟

س ٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾؟ ولمن الضمير في قوله

تعالى: ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ﴾؟ وما معناه؟

س ٤: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟ وما إعراب ﴿وَفِي مُوسَى﴾؟

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(ب) في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بَرَكِيهٗ﴾.

(ج) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

س ٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

\*\*\*

azhar.edu

## سورة الطور

(مكية وهي: تسع وأربعون آية)

﴿وَالْطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣ وَأَلْبَيْتَ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾

﴿وَالْطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى <sup>(١)</sup>  وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ هو القرآن، ونُكِّرْ؛ لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب، أو اللوح المحفوظ، أو التوراة ﴿فِي رَقٍّ﴾ هو الصحيفة، أو الجلد الذي يكتب فيه ﴿مَّنْشُورٍ﴾ مفتوح لا ختم عليه ﴿وَأَلْبَيْتَ الْمَعْمُورِ﴾ وهو بيت في السماء حيال الكعبة، وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة، رُوي أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ويخرجون، ثم لا يعودون إليه أبداً <sup>(٢)</sup>؛ وقيل: الكعبة؛ لكونها معمورة بالحجاج والعمار ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أي: السماء، أو العرش <sup>(٣)</sup> ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، أو الموقد، والواو في ﴿وَالْطُّورِ﴾ للقسم والبواقي للعطف، وجواب القسم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ أي: الذي أوعد الكفار به ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لنازل، قال جبير بن مطعم: أتيت رسول الله ﷺ أكلّمه في الأسارى، فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلما بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أسلمت؛ خوفاً من أن ينزل العذاب <sup>(٤)</sup> ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ لا يمنعه مانع، والجملة صفة لـ «واقع»، أي: واقع غير مدفوع، والعامل في ﴿يَوْمَ﴾، ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي: يقع في ذلك اليوم، أو اذكر

(١) وهو بأرض سيناء.

(٢) رواه ابن جرير وابن المنذر، والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

(٣) والأول أولى لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

(٤) قال الحافظ ابن حجر لم أجده هكذا، والذي جاء في الصحيح «أن ذلك في صلاة المغرب» وأنه قال لما سمع ﴿أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخُلَفَاءُ﴾ إلى آخره كاد قلبي يطير حاشية الكشف ٤ / ٤٠٩ ط الريان.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يَدْعُوثُ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾

﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ تدور كالرحى مضطربة ﴿السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ في الهواء، كالسحاب؛ لأنها تصير هباءً مثورًا ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أصل الخوض المشي في الماء، ثم غلب في الاندفاع في الباطل والكذب، ومنه قوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾<sup>(١)</sup> ويبدل ﴿يَوْمَ يَدْعُوثُ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، والدَّعَى: الدفع العنيف، وذلك أن خزنة النار يَغْلُون أيدي المكذبين إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم، وزحًا أي: دفعًا في أفقيتهم، فيقال لهم: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ ﴿هَذَا﴾: مبتدأ، و﴿سِحْرٌ﴾ خبره، يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر، أفسحر هذا؟ يريد أهذا الذي ترونه أيضًا سحر؟ ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه، كما كنتم عميًا عن الخبر، وهذا تقريع وتهكم ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبر ﴿سَوَاءٌ﴾ محذوف، أي: سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه، وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع؛ لنفعه في العاقبة، بأن يجازي عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب، الذي هو الجزاء، ولا عاقبة له ولا منفعة، فلا مزية له عليه.



﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) فَكَهَيْنَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ  
 ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ  
 عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ بَرَّاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ

## نعيم المتقين (١):

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ في آية جنات ﴿وَنَعِيمٍ﴾ وأي نعيم، بمعنى الكمال في الصفة، أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين، خلقت لهم خاصة ﴿فَكَهَيْنَ﴾ حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، والجار والمجرور في محل رفع خبر إن، والتقدير: إن المتقين استقروا في جنات ونعيم، حال كونهم متلذذين ﴿بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وعطف قوله ﴿وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ﴾ على ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، أي: إن المتقين استقروا في جنات ووقاهم ربهم، أو على ﴿ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على أن تجعل «ما» مصدرية، والمعنى فأكهين بإيتائهم ربهم، ووقايتهم ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أكلاً وشراباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، وهو الذي لا تنغيص فيه ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ موصول بعضها ببعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ وقرناهم ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء ﴿عِينٍ﴾ عظام الأعين حسانها ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ، و﴿الْحَقِّ بَرَّاهُمْ﴾ خبره ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ قرأ: (وَاتَّبَعَتْهُمْ) أبو عمرو ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ أولادهم ﴿بِإِذْنِ﴾ حال من الفاعل ﴿الْحَقِّ بَرَّاهُمْ﴾ أي: نلحق الأولاد بإيائهم وأعمالهم درجات الآباء، وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء، وقيل: إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغاً يكون منهم الإيوان استدلالاً، وإنما تلقنوا منهم تقليداً، فهم يلحقون بالآباء ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾

(١) شروع في ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين جميعاً بين الترهيب والترغيب وبضدها تمايز الأشياء.

﴿مَنْ شَيْءٌ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٢١ ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِشْنَهُنَّ﴾ ٢٢ ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ﴾ ٢٣ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ ٢٤ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ ٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِنَا وَوَقَّتْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ٢٧ ﴿

﴿مَنْ شَيْءٌ﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء، (من) الأولى متعلقة بآلتناهم والثانية زائدة<sup>(١)</sup> ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون، فنفوس المؤمنين مرهونة بعمله وتجازى به.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ وزدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِشْنَهُنَّ﴾ وإن لم يطلبوا ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرًا، أي: يتعاطون ويتبادلون هم وجلسائهم من أقربائهم، يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا ومعنى ﴿يَنْزِعُونَ﴾ يتجاذبون تجاذب مداعبة لا مغالبة ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأْنِيمٌ﴾ أي: لا يجري بينهم باطل، ولا ما فيه إثم، لو فعله فاعل في دار التكليف، من الكذب، والشتم، ونحوهما، كشاربي خمر الدنيا، لأن عقولهم ثابتة، فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ مملوكون لهم مخصوصون بهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من بياضهم وصفائهم ﴿لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ مصون في الصدف لم تنله الأيدي، أو مخزون؛ لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أرقاء القلوب من خشية الله، أو خائفين من نزع الإيوان وفوت الأمان، أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِنَا﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿وَوَقَّتْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ هي: الريح الحارة التي تدخل المسام، فسميت

(١) أي زيادة إعراب لا زيادة معنى.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾

بها نار جهنم لأنها بهذه الصفة ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه يعنون في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبد ولا نعبد غيره، ونسأله الوقاية ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة الذي إذا عُبد أثاب، وإذا سُئِلَ أجاب.

﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما زعموا<sup>(١)</sup>، وهو في موضع الحال، والتقدير: لست كاهناً ولا مجنوناً ملتبساً بنعمة ربك ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر، أي: نتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابعة و﴿أَمْ﴾ في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة، فتفيد الإضراب والاستفهام ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تربصون هلاكي ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ التناقض في القول، وهو قولهم: كاهن، وشاعر، مع قولهم: مجنون وكانت قريش يُدْعَوْنَ أهل الأحلام والنهي ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه

(١) وذلك مثل ما بين الله تعالى قولهم: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ سورة الحجر: ٦.

﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ﴾ ﴿٣٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ۚ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُّونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿بَلْ﴾ رد عليهم، أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمُتَقَوِّل؛ لعجز العرب عنه، وما محمد إلا واحد من العرب ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ ﴿مِثْلِهِ﴾ مثل القرآن ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً تَقَوَّلَه من تلقاء نفسه؛ لأنه بلسانهم وهم فصحاء ﴿أَمْ خُلِقُوا﴾ أم أحدثوا وقُدِّروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير مُقَدَّر ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسهم؛ حيث لا يعبدون الخالق.

وقيل: أخلِقُوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب، أم هم الخالقون فلا يأتمرون ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فلا يعبدون خالقهما ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يتدبرون في الآيات، فيعلموا خالقهم وخالق السماوات والأرض ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاءوا بما شاءوا ﴿أَمْ هُمُ الْمُصْطَرُّونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية، وينوا الأمور على مشيئتهم ﴿أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ﴾ منصوبٌ يرتقون به إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب، حتى يعلموا ما هو كائن مِنْ تَقَدُّمِ هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون، قال الزَّجَّاج: يستمعون فيه، أي: عليه ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدق

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَتْ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ

استماع مستمعهم ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَتْ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ ثم سَفَه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون، وهم حكماء عند أنفسهم ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على التبليغ والإنذار ﴿ فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾ المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه، أي: لزمهم مغرم ثقيل، فزهدهم ذلك في اتباعك ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴾ ما فيه حتى يقولوا لا تُبْعَثْ، وإن بُعِثْنَا لم نُعَذَّب ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين رضي الله عنهم <sup>(١)</sup> ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إشارة إليهم، أو أريد بهم كل من كفر بالله <sup>(٢)</sup> تعالى ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم، ويحقيق بهم مكرهم، وذلك أنهم قُتِلوا يوم بدر، أو المغلوبون في الكيد من كايده فكيده ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ وَالْكَسْفُ: القطعة، وهو جواب قولهم: ﴿ أَوْ تَسْقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾ <sup>(٣)</sup>، يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب ﴿ مَرْكُومٌ ﴾ قد رُكِم، أي: جمع بعضه على بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كِسْفٌ ساقط للعذاب ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ قرأ بضم الياء: عاصم وابن عامر.

وقرأ الباقون بفتح الياء (يُصْعَقُونَ)، يقال: صعقه فصعق، وذلك عند النفخة الأولى، نفخة الصعق ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ

(١) وهذا من إعجاز القرآن حيث أشار إلى أمر وقع بعد ذلك في قصة الهجرة.

(٢) والقول بالعموم أولى، ويدخل فيهم المذكورون دخولا أولياً، ولذلك صرح بالاسم الظاهر دون الضمير.

(٣) سورة الإسراء. الآية: ٩٢.

﴿ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴿

﴿ظَلَمُوا﴾ وإن هؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ دون يوم القيامة، وهو القتل بيدر، والقحط سبع سنين<sup>(١)</sup>، وعذاب القبر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

### حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ:

ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهاهم، وبما يلحقك فيه من المشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بحيث نراك ونحفظك، وجمع العين؛ لأن الضمير بلفظ الجماعة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ للصلاة أو من كل مجلس<sup>(٣)</sup>، وهو ما يقال بعد التكبير سبحانهك اللهم وبحمدك، أو من أي مكان قمت، أو من منامك ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل، والمراد الأمر بقول: سبحانه الله وبحمده، في هذه الأوقات، وقيل: التسبيح: الصلاة إذا قام من نومه، ومن الليل صلاة العشاءين، المغرب والعشاء، وإدبار النجوم، صلاة الفجر، وبالله التوفيق.

\*\*\*

(١) وقد وقع لأهل مكة بالفعل.  
(٢) سورة طه . الآية: ٣٩، (عيني) عين: مفرد أضيف إلى ضمير الواحد (أعيننا) أعين: جمع أضيف إلى ضمير الجمع، ومن نظر بعين البصيرة علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم.  
(٣) في سنن أبي داود والنسائي عن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» فسل عن ذلك فقال: كفارة لما يكون في المجلس.

- الإهانة والتوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾.

- في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ تهكُّم بهم.

- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لُولُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ تشبيه مرسل مجمل وهو تشبيه بليغ.

### بعض ما يستفاد من الآيات:

١ - وقوع العذاب لا محالة بالكفار والمكذبين.

٢ - انتفاع الذرية المؤمنة بالعمل الصالح لأبائهم.

٣ - تسفيه عقول المشركين؛ لتكذيبهم رسول الله ﷺ.

٤ - الله تعالى يأمر نبيه ﷺ بالذكر في الليل والنهار والأمر لحضرته أمر لأمته

من باب أولى.

\*\*\*

## الأسئلة

س ١: ما معنى: الطور؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾؟ وما السقف المرفوع؟

س ٢: ما إعراب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ﴾؟ وما معناه؟ وما المراد بتسيير الجبال؟ وما معنى الدَّعِّ في قوله تعالى: ﴿يُدْعُونَ﴾؟

س ٣: ما إعراب قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ﴾؟ وما معنى سرر؟ وما المراد بقوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾؟

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصِرُوا﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لُلُّؤْلُؤُ مَكْنُونٌ﴾.

س ٥: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

\*\*\*



## سورة النجم

(مكية وهي: اثنتان وستون آية)

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦﴾

صدق الوحي:

﴿وَالنَّجْمِ﴾ أقسم بجنس النجوم ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب، أو انتشر يوم القيامة، وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ﴾ ما عدل عن قصد الحق ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ، والخطاب لقريش<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما وقع في اتباع الباطل، وقيل: الضلال نقيض الهدى، والغبي نقيض الرشد، أي: هو مهتد راشد، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغبي.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ أي: وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، إنما هو وحي من عند الله يُوحى إليه<sup>(٢)</sup>.

﴿عَلَّمَهُ﴾ علم محمدًا ﷺ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ملك شديد قواه، وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور. ومن مظاهر قوته: أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بشمود فأصبحوا جاثمين. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو منظر حسن ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية، دون الصورة الآدمية التي كان ينزل بها على الرسول ﷺ.

(١) وعبر بلفظ صاحبكم والمقصود به النبي محمد ﷺ لأنه صاحبهم طوال أربعين سنة لم تشبه شائبة أو شيء يُجِل بالمروءة.  
(٢) قال الألوسی عليه الرحمة: ولا يبعد عندي أن يحمل قوله (وما ينطق عن الهوى) على العموم.

﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمُرُّنَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾

وذلك أنَّ رسول الله ﷺ أحبَّ أن يراه في صورته الحقيقية، فاستوى له في الأفق الأعلى - وهو أفق الشمس - فملاً الأفق، وقيل: ما رآه أحد من الأنبياء ﷺ في صورته الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُوَ﴾ أي: جبريل ﷺ ﴿بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ مطلع الشمس. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من رسول الله ﷺ.

﴿فَتَدَلَّى﴾ فزاد في القرب، والتدلي: هو النزول بقرب الشيء.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ مقدار قوسين عربيتين، أو أقرب من ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أي: على تقديركم، وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم، ومقدار فهمهم، وهم يقولون: هذا قدر رحين أو أنقص.

﴿فَأَوْحَىٰ﴾ جبريل ﷺ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ إلى عبد الله محمد ﷺ، ولم يُجِرْ له - تعالى - ذِكْرًا؛ لكونه في غاية الظهور.

﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ أبهم سبحانه ما أوحاه تفخيماً للوحي الذي أوحى إليه،

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ فؤاد محمد ﷺ ﴿مَا رَأَىٰ﴾ يعني: ما رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أنَّ ما رآه حق<sup>(٣)</sup> ﴿أَفَتَمُرُّنَهُ﴾ أفتجادلونه على ما يراه معاينة، من المراء وهو المجادلة في الباطل ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

(١) قال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا وفي الصحيحين من رواية مسروق عن عائشة «أنا أول من سأل رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي رأيت عليها غير هاتين المرتين حاشية الهاشك ٤/ ١٩٤. وراجع صحيح مسلم ١/ ١٥٩ حديث رقم ٢٨٧».

(٢) وعن مجاهد والحسن أن قاب القوس ما بين وترها ومقبضها، والمراد: إفادة شدة القرب.

(٣) أي جبريل عليه السلام، وإذن فليس هناك أدنى شك في أن ما يأتيه في صورة وصية الكلبي هو هو، فقد رآه عليه السلام بصورة نفسه، وعرفه حق معرفته، فلم يشتبه عليه بوجه.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمدٌ جبريلٌ ﷺ ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ مرة أخرى من النزول، نُصِبَت النَّزْلَةُ نَصَبَ الظرف الذي هو مرة، أي: نزل عليه جبريل ﷺ نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ الجمهور: على أَنَّهَا شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء، أو الانتهاء كأنَّها في منتهى الجنة وآخرها، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ أي: الجنة التي يصير إليها المتقون، وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي: (رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى)، وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقد قيل: يغشاها الجُمُ الغفير من الملائكة، يعبدون الله تعالى عندها، وقيل: يغشاها فَرَأَشُ من ذهب<sup>(١)</sup> ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ بصر رسول الله ﷺ أي: ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها ﴿وَمَا طَفَى﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ الآيات التي هي كبرها، وعُظُمُها، يعني: حين رقي به إلى السماء فرأى عجائب الملوكوت.

### عدم فائدة الأصنام:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ﴾ أي: أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل، هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بهارب العزة سبحانه وتعالى؟! واللات، والعزى، ومناة، أصنام لهم، وهي مؤنثات، (١) (يَغْشَى) يغطي، والغشيان هنا بمعنى التغطية والستر، قيل: يغشاها نور الله تعالى، والمراد: التضخيم والتعظيم على كل حال.

﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٣١) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةُ ضِيزَى (٣٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ  
وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ  
مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٣٣) أَمْ لِلإِنْسَنِ مَا تَمَنَّى (٣٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٣٥) ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي  
السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٣٦)

فالات: اسم لصنم كان لثقيف بالطائف، والعزى: كانت لغطفان، ومناة: صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وقيل لثقيف، وكأنها سميت مناة؛ لأن دماء النساء كانت تُمنى عندها، أي: تُراق ﴿الْآخِرَةُ﴾ هي صفة ذم، أي: المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَخَرْتُهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ (١). ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٣١) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةُ ﴿أَي: جَعَلَكُمْ لله البنات ولكم البنين﴾ ﴿ضِيزَى﴾ أي: جائرة. ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الأصنام ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات؛ لأنكم تدعون الألوهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ﴿سَمِيَتْهُمَا﴾ أي: سميت بهما، يقال: سميته زيداً، أو سميته بزيد ﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ وما تشتهي أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ الرسول والكتاب فتركوه، ولم يعملوا به ﴿أَمْ لِلإِنْسَنِ مَا تَمَنَّى﴾ (أم) منقطعة، بمعنى: بل والهمزة (٢) فيها الإنكار، أي: ليس للإنسان يعني - الكافر - ما تمنى من شفاعة الأصنام.

وقيل: هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: هو مالِكهما، وله الحكم فيهما، يعطى النبوة والشفاعة مَنْ شاء وارتضى؛ لا مَنْ تَمَنَّى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ يعني: أن أمر الشفاعة ضيق، فإن الملائكة مع قُرْبِهِمْ وكثرتهم لو شفَعُوا

(١) سورة الأعراف . الآية: ٣٨.

(٢) والإضراب للانتقال لبيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى الوهم والهوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (٣٠)

بأجمعهم لأحد لم تُغنِ شفاعتهم شيئاً قط، ولا تنفع إلا إذا شفَعوا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة لِمَنْ يشاء الشفاعة له، ويرضاه ويراه أهلاً لأن يشفع له، فكيف تشفع الأصنام إليه لعابديها؟!

### تسمية المشركين الملائكة بنات الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ﴾ ﴿أَي: كل واحد منهم﴾ ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾؛ لأنهم إذا قالوا: الملائكة بنات الله، فقد سمّوا كل واحدٍ منهم بنتاً، وهي تسمية الأنثى ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ وما لهم به من علم بهذا القول، أي: بما يقولون ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ هو تقليد الآباء ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: إنما يُعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين، لا بالظن والتوهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ فأعرض عمن رأيتُه مُعرضاً عن ذكر الله أي: القرآن. ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختيارهم الدنيا والرضا بها. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: اختيارهم الدنيا والرضا بها ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ منتهى علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ أي: هو أعلم بالضال والمهتدي ويجازيها.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٣٢﴾

## جزاء المسيئين والمحسنين:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ بعقاب ما عملوا من السوء، أو بسبب ما عملوا من السوء ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾ بالمشوبة الحسنى وهي الجنة، أو بسبب الأعمال الحسنى.

والمعنى: أن الله عز وجل إنما خلق العالم وسوَّى هذا الملكوت؛ ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم، إذ الملك قادر على نصر الأولياء وقهر الأعداء.

﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في محل نصب أو في محل رفع على المدح، أي: هم الذين ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ أي: الكبائر من الإثم؛ لأنَّ الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر، والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ أفحش من الكبائر، كأنه قال: والفواحش منها خاصة. قيل: الكبائر ما أوعده الله عليه النار، كالشرك بالله وعقوق الوالدين، والفواحش: ما شرع فيها الحد، كالقتل العمد والزنى والقذف والشرب ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ أي: الصغائر، والاستثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش، وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فيغفر ما شاء من الذنوب من غير توبة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوا إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تُثَنُّوا عليها، فقد علم

(١) إذا لم يصرف عليها ويواظب على فعلها، وإلا فالإصرار على الصغائر يحولها إلى كبائر، وفي الأثر: (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) وفسر بعضهم (اللمم) بحدث النفس بالمعصية، وما يحظر على القلب ولم يفعلها.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَفَى﴾ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾

الله الزكي منكم والتقي أولاً وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم (عليه السلام)، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وحكم المدح إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء منهى عنه، وإذا كان على سبيل الاعتراف بالنعمة، أو إثبات الحق فإنه جائز؛ لأنَّ المسرَّة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَفَى﴾ فاكثفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس.

### توبيخ بعض المشركين:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قطع عطيَّته وأمسك، وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية: وهي صلابه كالصخرة فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس (رضي الله عنه): أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مَنْ كَفَرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ زَيْدٍ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَكَانَ قَدْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَعَيَّرَهُ بَعْضُ الْكَافِرِينَ، وَقَالَ لَهُ: تَرَكْتَ دِينَ الْأَشْيَاحِ، وَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ، قَالَ: إِنِّي خَشِيتُ عَذَابَ اللَّهِ، فَضَمَنْ لَهُ إِنْ هُوَ أَعْطَاهُ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ وَرَجَعَ إِلَى شَرِكِهِ أَنْ يَتَحَمَلَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ، فَفَعَلَ، وَأَعْطَى الَّذِي عَاتَبَهُ بَعْضَ مَا ضَمَنْ لَهُ، ثُمَّ بَخَلَ بِهِ وَمَنَعَهُ. ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي: فهو يعلم أنَّ ما ضمنه من عذاب الله حق ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ﴾ يُخَبِّرُ ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ أي: التوراة ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وفي صحف إبراهيم ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ أي: وفَّى وأتم، كقوله: ﴿فَاتْمَنَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وإطلاقه ليتناول كل وفاء، وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفَّى به.

(١) سورة البقرة . الآية : ١٢٤ .



﴿الَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

### من مظاهر العدل الإلهي:

ثم أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال: ﴿الَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ من وزر يزر إذا اكتسب وزراً وهو الإثم، «أن» المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنه لا تزر، والضمير ضمير الشأن، ومحل (أن) وما بعدها الجر بدلاً من ﴿فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾، أو في محل رفع: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أن لا تزر، كأنه قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ ف قيل: ألا تزر وازرة وزر أخرى، أي: ألا تحمل نفس ذنب نفس ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلا سعيه، وهذه أيضاً مما في صحف إبراهيم وموسى ﷺ.

﴿وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي: يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه. ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ﴾، أو أبدله عنه. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ هذا كله في الصحف الأولى، والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه.

### من مظاهر قدرة الله تعالى:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ خلق الضحك والبكاء، وقيل: خلق الفرح والحزن، وقيل: أضحك المؤمنين في الآخرة بالمواهب، وأبكاهم في الدنيا بالنوائب. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ قيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان، أو أمات هنا وأحيا هناك.



﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّىٰ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٤٥﴾ الصنفين ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ إذا تُدْفَق في الرحم. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾ الإحياء بعد الموت ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ﴿٤٨﴾ أي: وأعطى القنْية، وهي: المال الذي عزمت أن لا تخرجه من يدك (أي تقتنيه) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾ هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها، فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ هم قوم هود، وعاد الأخرى إِرَم. ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ أي: وأهلك ثمود فما أبقاهاهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ ﴿٥٢﴾ أي: وأهلك قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ ﴿٥٣﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ﴾ ﴿٥٤﴾ من عاد وثمود؛ لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حَرَاك، وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه. ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾ ﴿٥٥﴾ قرى قوم لوط التي اتفكت بأهلها، أي: انقلبت ﴿أَهْوَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ أي: رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض، أي: أسقطها، ﴿وَالْمُؤَنَفَكَةَ﴾ ﴿٥٧﴾ منصوبة بأهوى على أنها مفعول به ﴿فَغَشَّهَا﴾ ﴿٥٨﴾ ألبسها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ ﴿٥٩﴾ ما غطَّى، وهو تهويل وتعظيم لما صُبَّ عليها من العذاب.

### الاعتاظ بالقرآن:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾ ﴿٥٥﴾ أيها المخاطب ﴿نَتَمَارَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ تتشكك بما أولاك من النعم، أو بما كفاك من النقم ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٥٧﴾ أي: محمد ﷺ منذر ﴿مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٨﴾ من المنذرين الأولين، وقال ﴿الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٩﴾ أي: إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي

﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ ٥٧ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ٥٨ ﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّونَ﴾ ٥٩ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾  
 وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

أنذر بها من قبلكم ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ قربت القيامة الموصوفة بالقرب في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: ليس لها نفس كاشفة، أي: مبينة متى تقوم، أو ليس لها نفس كاشفة، أي: قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى غير أنه لا يكشفها ﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعَجُّونَ﴾ إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خشوعاً.  
 ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ غافلون، أو لاهون لاعبون ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أي: فاسجدوا لله، واعبدوه، ولا تعبدوا الآلهة المزعومة، كالأصنام.

\*\*\*

- في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ إبهام الموحى به؛ للتعظيم والتهويل.

- في قوله تعالى: ﴿أَفْتُمِرُونَ، عَلَىٰ مَا يُرَىٰ﴾ في استخدام حرف الجر (على) بدلاً من استخدام حرف الجر (في)، دلالة على أن هذا الأمر مُعطى من الله، هبة لنبينا ﷺ، فهذه الأشياء التي يراها كجبريل وكالوحي لا تؤخذ بعلم، بل هي فضل من الله.

- في قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ﴾ استفهام توبيخي.

- في قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ استفهام إنكاري.

- بين (ضل) و(اهتدى): طباق.

- في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي قَوْلَىٰ﴾ استعارة تصريحية، فقد استعار الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ استعارة تصريحية، شبه من يعطى قليلاً ثم يمسك عن العطاء بمن يمسك عن الحفر بعد أن حيل دونه بصلافة الصخرة.

- في قوله تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَعِشَىٰ﴾ الإبهام للتعظيم والتهويل.

- في قوله تعالى: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾، و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، و﴿أَعْطَىٰ﴾ و﴿أَكْدَىٰ﴾، و﴿الذَّكْرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ طباق إيجاب.

## بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١ - النبي ﷺ معصوم في أفعاله وأقواله.
- ٢ - الابتعاد عن الظن، والوهم، والهوى.
- ٣ - إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته المَلَكِيَّة مرتين.
- ٤ - تسفيه عقول المشركين؛ لعبادتهم أسماء لا مسميات لها في الواقع.
- ٥ - مجازاة كل من المحسن والمسيء بعمله.
- ٦ - النهي عن تزكية المرء نفسه.
- ٧ - قرب قيام الساعة وخفاؤها عن كل خلق الله.

\*\*\*

## الأسئلة

- س ١: بم أقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة؟ وأين جواب القسم؟ وما معنى ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾؟
- س ٢: لِمَنْ الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ﴾؟ وما معنى ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾؟ وما مظاهر قوته؟ وما معنى ﴿فَاسْتَوَى﴾؟
- س ٣: ما المراد بالكبائر، والفواحش، واللمم؟ وفيمن نزل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾؟
- س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:
- (أ) قوله تعالى: ﴿أَفْتَمَرُوهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.
- (ب) قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾.
- (ج) قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾.
- (د) قوله تعالى: ﴿فَعَسَّهَا مَا عَسَى﴾.
- س ٥: لماذا عبر عن النبي ﷺ بلفظ «صاحبكم»؟
- س ٦: بين مظاهر العدل الإلهي في السورة الكريمة.
- س ٧: كيف دلت السورة الكريمة على بعض مظاهر قدرته؟
- س ٨: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

\*\*\*

azhar.edu

## سورة القمر

(مكية وهي: خمس وخمسون آية)

﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝٣ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۝٤ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٥﴾

### قرب وقوع الساعة:

﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ﴾ قربت القيامة. ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ نصفين، قال ابن مسعود رضي الله عنه: رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل: معناه ينشق يوم القيامة.

والجمهور على الأول: وهو المروي في الصحيحين<sup>(١)</sup>، ولا يقال: لو انشق لما خفي على أهل الأقطار، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً؛ لأنَّ الطَّبَاع جُبِلَتْ على نشر العجائب؛ لأنَّه يجوز أن يحجبه الله عنهم بعيم.

﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ يعني: أهل مكة ﴿آيَةً﴾ تدل على صدق محمد صلَّى الله عليه وآله ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن الإيمان به. ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ محكم قوي، أو دائم مُطَرَّد، أو مارٌّ ذاهب يزول ولا يبقى. ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلَّى الله عليه وآله ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وما زَيْنَ لهم الشيطان مِنْ دَفْعِ الحق بعد ظهوره. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وعدهم الله ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ كائن في وقته، وقيل: كلُّ ما قَدَّرَ واقع. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ من القرآن المودع فيه أنباء القرون الخالية، أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار عن الكفر، تقول: زجرته وأزجرته، أي: منعته.

(١) أخرج البخاري في كتاب التفسير - باب - وانشق القمر، من حديث ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله: اشهدوا) الحديث رقم (٤٨٦٤).

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ ٥ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾  
 ٦ ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٧ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ  
 الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ٨ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾

وأصله: مزيج، ولكنّ التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالاً؛ لأنّ  
 التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالاً لتوافق الزاي  
 في الجهر. ﴿حِكْمَةٌ﴾ بدل مرفوع من ﴿مَا﴾، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره:  
 هو حكمة. ﴿بَلِغَةٌ﴾ نهاية الصواب، أو بالغة من الله إليهم.

﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والنذر جمع نذير، وهم الرسل أو المنذر  
 به، أو النذر مصدر بمعنى الإنذار. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أنّ الإنذار لا  
 يغني فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ نصب ﴿يَوْمَ﴾ بـيخرجون، أو بإضمار اذكر.  
 ﴿نُّكْرٍ﴾ منكر فطيع تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهد بمثله، وهو هول يوم  
 القيامة. ﴿خُشْعًا﴾ حال من الخارجين، وهو فعل للأبصار، كما تقول: يخشع  
 أبصارهم، ويجوز أن يكون في ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ ضمير (هم)، وتقع أبصارهم  
 بدلاً عنه، وخشوع الأبصار كناية عن الذلة؛ لأنّ ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران  
 في عيونهما. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في كثرتهم  
 وتفرقهم في كل جهة، والجراد مثّل في الكثرة والتموّج، يقال: في الجيش الكثير  
 المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد. ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي  
 أعناقهم إليه ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب شديد.

الاتعاظ بهلاك المكذبين من الأمم السابقة:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً عليه السلام.



﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ ١ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ١٠ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١١ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ ١٢ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ ١٣ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾

وتكرار التكذيب؛ لأنهم كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مُكذَّب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا؛ لأنه من جملة الرسل. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: زُجر عن أداء الرسالة بالشتم وهُدّد بالقتل، أو تخبطته الجن وذهبت بعقله. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي، فلم يسمعوا مني، واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَأَنْتَصِرْ﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعته عليهم. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ مُنْصَبٌّ في كثرة وتتابع لم ينقطع ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: مياه السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قَدَرها الله كيف شاء، أو على أمر قد قُدِّر في اللوح المحفوظ، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنب منابها وتؤدي مؤدّاها، بحيث لا يفصل بينها - أي: الصفات - وبينها، - أي: الموصوفات - وهذا من فصيح الكلام وبديعه<sup>(١)</sup>. والدُّسر: جمع دَسار، وهو المسار؛ لأنه يُدسر به منفذه<sup>(٢)</sup>. ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا، أو بحفظنا، و﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ حال من الضمير في تجري، أي: محفوظة بنا.

(١) وذلك وفق قولهم «إذا اشتهرت الصفة بالموصوف حذف الموصوف وحلت الصفة محله»، وفي ذلك إيجاز، والبلاغة الإيجاز.

(٢) أصل الدُّسر: الدفع الشديد بقهر، فسمي به المسار لأنه يَدُق فيدفع بشدة. وفي المعجم الوسيط: الدسار في الشيء دسراً أدخله فيه بقوة والدسار المسار، والدسار: جبل من ليف تشد به ألواح السفينة. أه مادة دسر.

﴿جَزَاءٌ لِّمَن كَانَ كُفْرًا﴾ ١٤ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ ١٥ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ١٦  
 ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ ١٧ ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ١٨ ﴿إِنَّا  
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ١٩ ﴿نَزَعْنَا النَّاسَ عَنْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ ٢٠

﴿جَزَاءٌ﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك جزاءً ﴿لِّمَن كَانَ كُفْرًا﴾ هو نوح (عليه السلام)، وجعله مكفوراً؛ لأنّ النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١) فكان نوحاً نعمة مكفورة.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا﴾ أي: السفينة، أو الفعلة (٢)، أي: جعلناها ﴿آيَةً﴾ يُعتبر بها. ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ متعظ يتعظ ويعتبر، وأصله مذتكر بالذال والتاء، فأبدلت التاء دالاً، فصارت (مذكّر)، والذال والدال من موضع قريب، فأدغمت الذال في الدال. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ جمع نذير: وهو الإنذار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهّلناه للادّكار والانتعاظ. ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ متذكر ومتعظ، وقيل: ولقد سهّلناه للحفظ، وأعنا عليه مَنْ أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليُعان عليه؟

﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: إنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بارداً، أو شديدة الصوت.

﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشر استمر عليهم حتى أهلكهم. ﴿نَزَعْنَا النَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم، وكانوا يَصْطَفُّونَ آخِذاً بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في الشعاب، ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبحهم وتندق رقابهم. ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه.

(١) سورة الأنبياء . الآية: ١٠٧ .

(٢) أو: القصة، أي أبقينا خبرها وحكايتها في القرآن .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا نَنبَعُ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ يَلْقَ الدِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ .

﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا ﴿ انتصب (بَشْرًا) بفعل يفسره نَنبَعُ ﴾ ، تقديره: أنتبع بشراً منّا واحداً.

﴿ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ كان صالح عليه السلام يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق، فعكسوا عليه، فقالوا: إن اتبعناك كنا كما تقول.

﴿ وَسُعُرٍ ﴾: نيران جمع سعير، وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب، والسُّعُرُ: الجنون، وقولهم: ﴿ أَبَشْرًا ﴾ إنكاراً لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من الملائكة، وقالوا: ﴿ مِثَّا ﴾؛ لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى. وقالوا: ﴿ وَاحِدًا ﴾ إنكاراً لأن تتبع الأمة رجلاً واحداً، أو أرادوا واحداً لا يعرف أصله، ليس من أشرفهم وأفضلهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَلْقَ الدِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ أي: أنزل عليه الوحي بيننا، وفينا مَنْ هُوَ أَحَقُّ منه بالاختيار للنبوّة. ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴾ بطّر متكبر، حملة بطّره وطلبه التعظم علينا على ادّعاء ذلك. ﴿ سَيَعْمُونَ غَدًا ﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة <sup>(١)</sup> ﴿ مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴾ أصالح أم مَنْ كَذَّبَهُ. ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ ﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا ﴿ فَمَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ ﴾ امتحاناً لهم وابتلاء، وهو مفعول له أو حال. ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾ على أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

(١) والأول أولى وأرجح لمقتضى اللحاق، فإن إرادة يوم القيامة من قوله ﴿ غَدًا ﴾ لا يتناسب مع قوله: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ ﴾.

﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْضَرٌ﴾ (٢٨) ﴿فَادَاوُاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩) ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (٣٠) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمَحْطَرِ﴾ (٣١) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ (٣٢) ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ بِالْأُنْذَرِ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (٣٤) ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِالْأُنْذَرِ﴾ (٣٦)

﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم بينهم لها شَرْبُ يوم، ولهم شرب يوم، وقال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليباً للعقلاء. ﴿كُلُّ شَرْبٍ مُّحْضَرٌ﴾ محضور، يحضر القوم الشرب يوماً، و تحضر الناقة يوماً ﴿فَادَاوُاْ صَاحِبَهُمْ﴾ أشقاهم ﴿فَتَعَاطَى﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له. ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة، أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف، وإنما قال ﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ﴾ (١) في آية أخرى؛ لرضاهم به، أو لأنه عقر بمعونتهم. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في اليوم الرابع من عقرها ﴿صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﷺ ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمَحْطَرِ﴾ والهشيم: الشجر اليابس المتهشم المتكسر، والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة، وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتطؤه البهائم، فيتحطم ويتهشم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾. ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ بِالْأُنْذَرِ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على قوم لوط ﴿حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ ابنتيه ومن آمن معه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وهو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر حيث يختلط سواد الليل ببياض النهار. ﴿نِعْمَةٌ﴾ مفعول له، أي: إنعاماً ﴿مَنْ عِنْدَنَا كَذَلِكَ تَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته. ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ لوط ﷺ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْاْ بِالْأُنْذَرِ﴾ فكذبوا بالأنذر متشاكين.

﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ. فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْنَدٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ﴾ طلبوا الفاحشة من أضيافه ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ أعميناهم، وقيل: مسحناها وجعلناها كسائر الوجوه لا يرى له شق ﴿ فَذُوقُوا ﴾ فقلتُ لهم ذوقوا على السنة الملائكة ﴿ عَذَابِي وَنُذِرِ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ أول النهار ﴿ عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾ ثابت قد استقر عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وفائدة تكرير ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴾ أن يُجِدُّوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكَّارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾. ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء، أو هو جمع نذير: وهو الإنذار ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ بالآيات التسع، وهي: العصا، واليد، والسُّنُون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ ﴾ لا يُغَالِب ﴿ مُقْنَدٍ ﴾ لا يعجزه شيء.

**توبيخ مشركي مكة على عدم الاعتبار بهلاك السابقين:**

﴿ أَكْفَارُكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وآل فرعون، أي: أهم خيرٌ قوةً ومكانةً في الدنيا، أو أقل كُفراً وعناداً؟ ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ أم أنزلت عليكم يا أهل مكة براءةٌ في الكتب المتقدمة، أن مَنْ كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله،

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصِرٌ﴾ ٤٤ ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ ٤٥ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾  
 وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ  
 ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾

فأنتم بتلك البراءة ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُنْصِرٌ﴾ ممتنع،  
 لا نرام ولا نضام ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ﴾ جمع أهل مكة ﴿وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ أي: الأدبار،  
 والمعنى: ينصرفون منهزمين يوم بدر، وهذه من علامات النبوة <sup>(١)</sup>. ﴿بَلِ السَّاعَةُ  
 مَوْعِدُهُمْ﴾ موعد عذابهم بعد بدر ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى﴾ أشدُّ من موقف بدر،  
 والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدائه ﴿وَأَمْرٌ﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا  
 وأشدّ.

### ترهيب وترغيب:

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيران في الآخرة،  
 أو في هلاك ونيران. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ يجرون فيها ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال  
 لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا آلام سقر، و﴿سَقَرَ﴾ علم لجهنم  
 ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿كُلٌّ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: خلقنا، وذلك  
 يدل على العموم واشتمال الخلق على جميع الأشياء، ولا يجوز أن يكون خلقنا  
 صفة لشيء؛ لأنَّ الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة، أي: وما أمرنا لشيء نريد تكوينه  
 إلا أن نقول له كن فيكون. ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ على قدر ما يلح أحدكم ببصره،  
 وقيل: المراد بأمرنا: أمر القيامة، كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحٍ الْبَصَرِ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) وهي أيضًا: من الإعجاز الغيبي للقرآن حيث وقع ذلك في بدر الكبرى مع أن آية القمر مكية.

(٢) سورة النحل . الآية: ٧٧.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكِرٍ ﴾ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ  
﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ  
مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿ فَهَلْ مِنْ مَّذْكِرٍ ﴾ متعظ ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ ﴾ أي: أولئك الكفار، أي: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ ﴾ مفعول لهم ثابت ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ في دواوين الحفظ، و ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ في موضع جر نعت لشيء، و ﴿ فِي الزُّبُرِ ﴾ خبر لكل. ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿ مُسْتَطَرٌّ ﴾ مسطور في اللوح. ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ وأنهار اكتفى باسم الجنس ﴿ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ ﴾ في مكان مرضي. ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ عندية منزلة وكرامة ﴿ مُّقْدِرٍ ﴾ قادر، وفائدة التنكير فيها أن يُعلم أنه ما من شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته، وهو على كل شيء قدير.

\*\*\*



- في قوله تعالى: ﴿خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ كناية؛ لأنَّ خشوع الأبصار كناية عن الذلة، وذلك لأنَّ ذلة الذليل، وعزة العزيز إنَّما تظهران في عيونهما.
- في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ تشبيه مرسل مفصل؛ حيث شبَّههم بالجراد المنتشر، في الكثرة والتموج والانتشار في الأقطار.
- في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ استعارة تمثيلية، شبه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهارٍ انفتحت بها أبواب السماء.
- في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ كناية عن موصوف وهو السفينة.
- في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ استفهام تعظيم وتعجب.
- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ تشبيه مرسل حيث شبَّهوا بأعجاز النخل، وهي أصولها بلا فروع؛ لأنَّ الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقي أجسادًا، وجثثًا بلا رؤوس، وزاد التشبيه حسنًا، أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال.
- في قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ﴾ تشبيه مرسل؛ حيث شبَّههم بالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته.





## بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

- ١ - الإخبار بقرب مجيء الساعة.
- ٢ - عدم جدوى النذر لمن يتبع هواه.
- ٣ - توبيخ المشركين على ما هم فيه من الغفلة وعدم الاعتبار بهلاك السابقين.
- ٤ - فضل الله على هذه الأمة بتسهيل القرآن للحفظ والتذكر.
- ٥ - تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته بإرسال الرسل، والأخذ للظلمة الكافرين بأشد أنواع العقوبات.
- ٦ - كل ما في الوجود بقدره الله وإرادته ويسير وفق قضائه وقدره.
- ٧ - كل أعمال المرء في كتاب قد خطه الكرام الكاتبون.

\*\*\*

## الأسئلة

س ١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾؟ وما معنى ﴿وَأَنشَقَّ

الْقَمَرُ﴾؟ وما إعراب: ﴿حِكْمَةٌ﴾؟ وما معنى ﴿بَلَاغَةٌ﴾؟

س ٢: ما معنى ﴿مُنْهَمِرٍ﴾؟ وما المراد بالماء؟ وما معنى ﴿كُفْرٍ﴾؟ وَمَنْ  
المكفور؟ ولماذا جعل مكفوراً؟

س ٣: مَنْ المراد بآل لوط؟ وما إعراب نعمة؟ وما فائدة تكرير قوله تعالى:  
﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّ﴾؟ وَمَنْ المراد بالجمع في قوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ  
الْجَمْعُ﴾؟.

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ﴾.

س ٥: ما الحكمة من ذكر هلاك المشركين السابقين؟

س ٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

\*\*\*

## سورة الرحمن

(مدنية وهي: ثمان وسبعون آية)

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾

مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ:

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣﴾ أي: الجنس، أو آدم، أو محمدًا، عليهما الصلاة والسلام.

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ عَدَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آلاءَهُ، فَقَدَّمَ فِي الذِّكْرِ أَسْبَقَ آلائِهِ قَدَمًا، وَهِيَ نِعْمَةُ الدِّينِ، وَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَةِ الدِّينِ مَا هُوَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا، وَهُوَ إِنْعَامُهُ عَلَى الْخَلْقِ بِالْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلِهِ، وَتَعْلِيمِهِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ وَحْيِ اللَّهِ رَتَبَةً، وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً، وَهُوَ سِنَامُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَمِصْدَاقُهَا، وَالْمُهِمِّنُ عَلَيْهَا.

وَأَخَّرَ ذِكْرَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ عَنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ لِیَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ خُلِقَ لِلدِّينِ، فَيَتَعَلَّمَ وَحْيَ اللَّهِ وَكُتُبَهُ <sup>(١)</sup>.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ وَهُوَ نِعْمَةُ الْبَيَانِ، وَمَعْنَاهُ: الْمَنْطِقُ الْفَصِيحُ الْمُعْرَبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

و ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ مَعَ ضَمَائِرِهَا أَخْبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ لِهَذَا الْمَبْتَدَأِ، وَجَمِيعُهَا مِنْ غَيْرِ حَرْفِ الْعَطْفِ؛ لِوُرُودِهَا عَلَى نَمَطِ التَّعْدِيدِ - كَأَنَّكَ تُعَدِّدُ شَيْئًا - كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ أَغْنَاكَ بَعْدَ فَقْرٍ، أَعَزَّكَ بَعْدَ ذُلٍّ، كَثَّرَكَ بَعْدَ قِلَّةٍ، فَعَلَ بِكَ مَا لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ بِأَحَدٍ، فَمَا تُنْكِرُ مِنْ إِحْسَانِهِ؟!

(١) تعليم القرآن هو الغاية من خلق الإنسان، والغاية متقدمة على صاحب الغاية ذهنًا، وإن كان الأمر بالعكس خارجًا.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بحسابٍ معلومٍ، وتقديرٍ سويٍّ مجريان في بُرُوجِهِمَا وَمَنَازِلِهِمَا، وفي ذلك منافع للنَّاسِ، منها عِلْمُ السَّنين والحساب ﴿وَالنَّجْمُ﴾ النَّبات الذي يَنْجُمُ - أي: يَنْبُتُ - من الأرض لا ساق له؛ كالبُقُول ﴿وَالشَّجَرُ﴾ الذي له سَاقٌ، وقيل: النَّجْمُ: نجومُ السماء <sup>(١)</sup> ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ينقادان لله تعالى فيما خُلِقَا من أجله، تشبيهاً بالسَّاجِد من المُكَلَّفِينَ في انقياده لله تعالى.

واتصلت هاتان الجملتان بـ ﴿الرَّحْمَنُ﴾، وصحَّ إعرابهما خبران عن المبتدأ، وهو قوله ﴿الرَّحْمَنُ﴾، على الرَّغم من عدم وجود الرِّابط اللَّفْظِي بين المبتدأ والخبر، وذلك لوجود الوصل المعنوي؛ لِمَا عُلِمَ أَنَّ الحُسْبَانَ حُسْبَانُهُ، والسُّجُودَ لا يكون إلَّا له، كَأَنَّهُ قيل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ بِحُسْبَانِهِ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ له، وبذلك تعدد الخبر للمبتدأ «الرحمن».

ولم يُذكر حرفُ العطف في الجُمْلَةِ الثلاثة الأولى، ثُمَّ ذُكِرَ به بعد ذلك؛ لِأَنَّ الجُمْلَةَ الأولى وَرَدَتْ على سبيل التَّعْدِيدِ تَبَكِيئًا لِمَنْ أَنْكَرَ نِعَمَ اللَّهِ.

ثم جاء الكلامُ بعد هذا التَّبَكِيْتُ بحرف العطف، فَوَصَلَ ما يجب وصلُهُ؛ رعايةً لِلتَّنَاسُبِ من حيث التَّقَابُلِ، فالشَّمْسُ والقمر سِماوِيَّانِ، والنَّجْمُ والشَّجَرُ أَرْضِيَّانِ، ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ والقمر مُنْقَادَانِ في جريهما بحسبانٍ لِأَمْرِ اللَّهِ، وهذا مُنَاسِبٌ لسجود النَّجْمِ والشَّجَرِ.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعةً، وجعلها مَنْشَأً أَحْكَامَهُ، ومَصْدَرَ قَضَايَاهُ، وَمَسْكَنَ ملائِكَتِهِ الذين يهبطون بالوحيِّ على أنبيائه، ونَبَّهَ بذلك على كبرياء شَأْنِهِ،

(١) والأولُ الرَّاجِحُ، لأنَّ اقترانه بالشَّجَرِ يدلُّ عليه، والسَّجُودُ هنا هو السَّجُودُ بالمعنى اللَّغَوِي.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (٧) ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (٨) ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩) ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (١٠) ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ (١١) ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾

وَمُلْكِهِ، وَسُلْطَانِهِ. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وهو: كُلُّ مَا تُوزَنُ بِهِ الْأَشْيَاءُ، وَتُعْرَفُ مَقَادِيرُهَا، مِنْ مِيزَانٍ، وَمِكْيَالٍ، وَمَقْيَاسٍ، أَيْ: خَلَقَهُ مَوْضُوعًا عَلَى الْأَرْضِ؛ حَيْثُ عَلَّقَ بِهِ أَحْكَامَ عِبَادِهِ مِنَ التَّسْوِيَةِ، وَالتَّعْدِيلِ فِي اخْتِزَامِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أَيْ لَمْ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، فَهِيَ جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ لِقَوْلِهِ ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أَوْ: هِيَ أَنَّ الْمَفْسَّرَةَ، بِمَعْنَى: أَيْ.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قَوِّمُوا وَزَنُوكُم بِالْعَدْلِ ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ وَلَا تُنْقِصُوهُ، أَمَرَ بِالتَّسْوِيَةِ وَنَهَى عَنِ الطُّغْيَانِ الَّذِي هُوَ اعْتِدَاءٌ وَزِيَادَةٌ، وَنَهَى عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِي هُوَ تَطْفِيفٌ وَنَقْصَانٌ، وَكَرَّرَ لَفْظَ الْمِيزَانِ؛ تَشْدِيدًا لِلتَّوَصِيَةِ بِهِ، وَتَقْوِيَةً لِلأَمْرِ بِاسْتِعْمَالِهِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خَفَضَهَا مَبْسُوطَةً مُسْتَوِيَةً ﴿لِلْأَنَامِ﴾ لِلخَلْقِ، وَهُوَ كُلُّ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِنْسُ وَالْجَنُّ، فَهِيَ كَالْبَسَاطِ لَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فَوْقَهَا.

﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ ضَرْبٌ مِمَّا يُتَفَكَّهُ بِهِ ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ هِيَ أَوْعِيَةُ التَّمْرِ، مُفْرَدًا: كِمٌّ بِكَسْرِ الْكَافِ، أَوْ: هُوَ كُلُّ مَا يَكُمُّ، أَيْ: يُغْطِي مِنْ لِيْفِهِ، وَسَعْفِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهُ مُنْتَفِعٌ بِهِ كَمَا يُنْتَفَعُ بِالْمَكْمُومِ مِنْ ثَمَرِهِ، وَجَذْوَعِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ هُوَ وَرَقُ الزَّرْعِ أَوْ التَّبْنُ الَّذِي يُقَدَّمُ عَلَاقًا لِلْمَاشِيَةِ.

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الرِّزْقُ وَهُوَ اللَّبُّ، أَرَادَ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا مَا يُتَلَذَّذُ بِهِ مِنْ

الفواكه، وفيها الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وفيها ما يُتَغَذَى به فقط وهو الحب.

وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ بالجرّ، أي: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ الذي هو علفُ الأنعام ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الذي هو مطعمُ الأنام. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم بالرفع على تقدير ذو أي: ﴿و﴾ ذو ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ فحذف المضاف ذو وأقيم المضاف إليه ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ مقامه، وقيل: على قراءة الرفع أيضاً معناه: ﴿و﴾ فيها ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الذي يُشَمُّ. ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ﴾ أي: النعم ممّا عدّد من أوّل السورة، جمع ألي، وإلي ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للثقلين الإنس والجنّ، بدلالة الأنام عليهما.

### من دلائل قدرته تعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طينٍ يابسٍ له صَلْصَلَةٌ <sup>(١)</sup> ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ أي: الطين المطبوخ بالنّار، وهو الخزف، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ <sup>(٣)</sup>، وقوله ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ <sup>(٤)</sup> لاتفاقها جميعاً في المعنى؛ لأنّه يُفِيد: أنّه خلقه من ترابٍ، ثمّ جعله طيناً، ثمّ حمأً مسنوناً، ثمّ صلصالاً، فلا تعارض بينها <sup>(٥)</sup>.

(١) صلصل الشيء: صوت صوتا فيه ترجيع. كذا في المعجم.

(٢) سورة الحجر. الآية: ٢٦.

(٣) سورة الصافات. الآية: ١١.

(٤) سورة آل عمران. الآية: ٥٩.

(٥) وكل آية من هذه الآيات تمثل مرحلة من مراحل الخلق، فالمخبر عنه هو آدم عليه السلام وقع خلقه على أحوال شتى.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجنَّ ﴿مِنْ مَّارِجٍ﴾ هو اللهب الصافي الذي لا دُخَانَ فيه، وقيل: اللهب المختلط بسواد النار، مِنْ مَرْجَ الشَّيْءِ: إذا اضطرب واختلط ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ هو بيان لـ ﴿مَّارِجٍ﴾ كأنه قيل: مِنْ صَافٍ ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾، أو مختلط ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ أو أراد: ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ مخصوصة كقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ أراد مشرقى الشمس في الصيف والشتاء، ومغربى الشمس فيهما<sup>(٢)</sup> ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين مُتَلَقِيَيْنِ، لا فصل بين المائين في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجزٌ من قدرة الله تعالى ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر بالمُتَمَازِجَةِ، ولا يتجاوز حدَّه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾ كِبَارُ الدُّرِّ ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ صِغَارُهُ، وإِنَّمَا قَالَ ﴿مِنْهُمَا﴾ واللؤلؤ والمرجان إِنَّمَا يَخْرُجَانِ مِنَ الْمِلْحِ فَقَطْ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا التَقِيَا وَصَارَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ جَازَ أَنْ يُقَالَ: يَخْرُجَانِ مِنْهَا، كَمَا يُقَالَ: يَخْرُجَانِ مِنَ الْبَحْرِ، وَلَا يَخْرُجَانِ مِنْ جَمِيعِ الْبَحْرِ وَلَكِنْ مِنْ بَعْضِهِ، وَتَقُولُ: خَرَجْتَ مِنَ الْبَلَدِ، وَإِنَّمَا خَرَجْتَ مِنْ مَكَانٍ فِيهَا ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) سورة الليل. الآية: ١٤.

(٢) وقيل: مشرقى الشمس والقمر ومغربيهما.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤) ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٥) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٨) ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿وَلَهُ﴾ ولله ﴿الْجَوَارِ﴾ السفن، جمع: جارية ﴿الْمُنشَآتُ﴾ المرفوعات الشَّرْع. ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ وقرأ حمزة (المنشآت) بكسر الشين أي: الرَّافعات الشُّروع، أو اللاتي يُنشِئْنَ الأمواج بحريهن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع عَلم، وهو الجبل الطويل ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿فَإِنْ﴾ (٢٦) ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ذو العظمة والسلطان، و﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ صفةُ الوجه ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ بالتجاوز والإحسان، وهذه الصفة من عظيم صفات الله، وفي الحديث قال النبي ﷺ: «الْظُّوَا بـ(يا ذا الجلال والإكرام)»<sup>(١)</sup>، ومعنى «الظُّوَا» أي: الزموا هذه الدَّعوة وداوموا عليها.

وَرَوَى أَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَصِلِي، ويقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قَدْ اسْتَحْيَبَ لَكَ»<sup>(٢)</sup> ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، والنَّعْمَةُ في الفناء باعتبار أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَصِلُونَ به إلى النَّعِيمِ الدَّائِمِ في الْجَنَّةِ، قال يحيى بن معاذ: حَبَّذا الموتُ فهو الذي يقرب الحبيب إلى الحبيب. ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كُلُّ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ، فَيَسْأَلُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِدِينِهِمْ، وَيَسْأَلُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد وغيره بسند حسن.



﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٩ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٣٠ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ٣١ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٣٢ ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٣٣ ﴿

وَيُنْصَبُ﴾ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفاً لما دَلَّ عليه قوله: ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كُلَّ وقتٍ وحينٍ يُحْدِثُ أُمُورًا، ويُجَدِّدُ أَهْوَآلًا، كما رُوي أَنَّهُ ﷺ تَلَاهَا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا ذَلِكَ الشَّأْنُ؟ فَقَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ»<sup>(١)</sup>.

﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعارٌ من قول الرجل لمن يَتَهَدَّدُهُ: سَأَفْرُغُ لَكَ، يريد: سَأَتْرِكُ لِلْإِقْطَاعِ بِكَ كُلَّ مَا يَشْغَلُنِي عَنْكَ، والمراد: التَّفَرُّغُ لِلنَّكَايَةِ بِهِ، وَالْإِنْتِقَامَ مِنْهُ.

وَيُجَوِّزُ أَنْ يُرَادَ: سَتَنْتَهِي الدُّنْيَا وَتَبْلُغَ آخِرَهَا، وَتَنْتَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ شُؤْنُ الْخَلْقِ الَّتِي أَرَادَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فَلَا يَبْقَى إِلَّا شَأْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ جَزَاؤُكُمْ، فَجَعَلَ ذَلِكَ فَرَاغًا لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْمَثَلِ.

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ سُمِّيَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا ثَقَلَا الْأَرْضَ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾.

﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ هُوَ كَالترجمة لقوله ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ أي: إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هَرْبًا مِنْ قَضَائِي فَاخْرُجُوا<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى النُّفُوذِ ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بِقُوَّةٍ، وَقَهْرٍ، وَغَلْبَةٍ، وَأَنِّي لَكُمْ ذَلِكَ؟

(١) رواه ابن ماجه وغيره بسند حسن.

(٢) قوله: ﴿فَانْفُذُوا﴾ الأمر للتعجيز.

﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾  
 ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾  
 ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾

وقيل: يُقال لهم هذا يوم القيامة حين تنظر إليهم الملائكة، فإذا رآهم الجنُّ والإنسُ هربوا، فلا يأتون وجهًا إلَّا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ اللهب الخالص ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخان، والمعنى: إذا خرجتم من قبوركم يُرسلُ عليكما لهبٌ خالصٌ من النَّارِ، ودخانٌ ليسُوقكم إلى المحشر ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ ﴿فَلَا تُثْنِعَانِ مِنْهَا﴾ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

### أحوال يوم القيامة:

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ ﴿أَنْفَكَ﴾ بعضها من بعض لقيام الساعة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فصارت كَلَوْنُ الورد الأحمر، وقيل: أصل لون السماء الحمرة، ولكن من بعدها تُرى زرقاء ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كدهن الزَّيْتِ، وهو جمعُ دهن، وقيل: (الدَّهَان) الأديمُ الأحمر ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: فيومَ تَنشَقُّ السَّمَاءُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: ولا جنٌّ، فوضع الجَانُّ الذي هو أبو الجنِّ موضعَ الجنِّ؛ كما يقال: هاشم، ويراد ولده، والتقدير: لا يُسألُ إنسٌ ولا الجَانُّ عن ذنبه، والتَّوفِيقُ بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) سورة الحجر. الآية: ٩٢.

(٢) سورة الصافات. الآية: ٢٤.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٤﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾

أَنَّ يوم القيامة يومٌ طويل وفيه مواطن كثيرة، فيُسألون في موطن ولا يُسألون في آخر، وقال قتادة: قد كانت هناك مسألة، ثُمَّ خُتم على أفواه القوم، وتكَلَّمَت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل: ﴿لَا يَسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ﴾ سؤال عِلْمٍ، ولكن يُسأل سؤال توبيخ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ﴾ بسوادِ وجوههم، وزُرْقَةِ عيونهم ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: يؤخذ تارةً بالنواصي وهي مُقدِّمة الرؤوس، وتارةً بالأقدام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ ماءٌ حارٌّ قد انتهى حرُّه، أي يُعاقبُ عليهم بين التَّصلية بالنَّار، وبين شُرْبِ الحَمِيمِ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والنَّعمة في هذا: نِجاة النَّاجِي من هذا العذاب بفضلِهِ ورحمته، وتنبهه على عدم فعل ما يُؤدِّي إليه.

### فضل الخائفين من الله وجزاؤهم:

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة، فترك المعاصي، وأدَّى الفرائض، وقيل: المعنى: خاف ربَّه، كما يقال: نفِئتُ

﴿جَنَّانٍ ٤٦﴾ فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكُهُ زُوجَانِ ﴿٥٢﴾ فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنِ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ ﴿٥٦﴾

عنه مقام الذُّب، والمراد: نَفَيْتُ عنه الذُّب <sup>(١)</sup> ﴿جَنَّانٍ﴾ جنَّةُ الإنس وجنَّةُ الجن؛ لأنَّ الخطاب للثقلين، وكأنَّه قيل: لكل خائف منكما جنتان، جنَّةٌ للخائف الإنسي، وجنَّةٌ للخائف الجنِّي ﴿فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أغصان، جمع فَنٍّ، وَخَصَّ الأفنان؛ لأنها هي التي تُورِقُ وتُثمر، فمنها تمتدُّ الظلال، ومنها تُجتنى الثَّمار، وقيل: ﴿أَفْنَانٍ﴾ أي: ألوان، جمع فَنٍّ، أي: له فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين ﴿فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل، وعن الحسن تجريان بالماء الزُّلال: إحداهما التَّسليم والأخرى السَّلْسِيل ﴿فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكُهُ زُوجَانٍ﴾ صِنْفَانِ، صِنْفٌ معروفٌ لهم، وَصِنْفٌ غريبٌ عنهم <sup>(٢)</sup> ﴿فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ نُصِبَ على المدح للخائفين، أو: حال منهم؛ لأنَّ ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ في معنى الجمع ﴿عَلَى فُرُشٍ﴾ جمع: فراش ﴿بَطَاطِنُهَا﴾ جمع: بطانة ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ديباج نخين، وهو مُعَرَّبٌ <sup>(٣)</sup>.

قيل: ظاهر الثَّياب من سُندسٍ، وقيل: لا يعلمها إلا الله ﴿وَحَنِ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وَثَمَرُهَا قَرِيبٌ يَنَالُهُ الْقَائِمُ، والقاعد، والمتكى ﴿فَإِيَّاءَ الْآءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين؛ لاشتغالهما على أماكن وقصور ومجالس، أو: في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين، والعينين، والفاكهة، والفُرُش، والجنِّي ﴿قَصِيرَتُ الطَّرْفِ﴾

(١) (مقام) مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل، أي: ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقبا له حافظا لأحواله، ويجوز أن يكون (مقام) اسم مكان، والمراد به: مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب.  
(٢) أو رطب وبابس، وهما في الفضل سواء.  
(٣) أي أصل الكلمة غير عربي، ولكن العرب استعملتها فأصبحت عربية بالاستعمال فهي معربة.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ ٥٦ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٥٧ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ٥٨ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٥٩ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ٦٠ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٦١ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَانٍ﴾ ٦٢ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٦٣ ﴿مُدْهَمَّتَانِ﴾ ٦٤ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٦٥ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾ ٦٦ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٦٧ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ ٦٨

نساء قَصْرْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ الطَّمْتُ: الْجَمَاعُ بِالتَّذْمِيَةِ <sup>(١)</sup> ﴿إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّ يَطْمِئُونَ كَمَا يَطْمِئُ الْإِنْسُ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ صِفَاءٌ ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ بِيَاضًا، فَهُوَ أَيْضٌ مِنَ اللَّوْلُؤِ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ فِي الْعَمَلِ ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ فِي الثَّوَابِ.

وقيل: ما جزاء مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ قَالَ فِيهِ: هَلْ جَزَاءُ الْإِسْلَامِ إِلَّا دَارُ السَّلَامِ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ وَمِنْ دُونِ تِلْكَ الْجَنَّتَيْنِ الْمَوْعُودَتَيْنِ لِلْمُقَرَّبِينَ ﴿جَنَانٍ﴾ لِمَنْ دُونَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿مُدْهَمَّتَانِ﴾ سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ، قَالَ الْخَلِيلُ: الدُّهْمَةُ: السَّوَادُ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾ فَوَارَتَانِ بِالْمَاءِ لَا تَنْقُطِعَانِ ﴿فِيَّيَّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ﴾ أَنْوَاعُ الْفَوَاكِهِ ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾ وَالرُّمَانُ وَالتَّمْرُ لَيْسَا مِنَ الْفَوَاكِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِمَجِيءِ حَرْفِ الْعَطْفِ؛ وَلَآنَ التَّمْرِ فَاكِهَةٌ وَغِذَاءٌ، وَالرُّمَانُ فَاكِهَةٌ وَدَوَاءٌ، فَلَيْسَا لِلتَّفَكُّهِ وَحْدَهُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا عُطِفَا

(١) أَصْلُ الطَّمْتُ خُرُوجُ الدَّمِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْحَيْضِ طَمْتُ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى جَمَاعِ الْأَبْكَارِ لِمَا فِيهِ مِنْ خُرُوجِ الدَّمِ غَالِبًا ثُمَّ عَمِمَ عَلَى كُلِّ جَمَاعٍ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٦٩ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ ٧٠ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٧١  
 حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٧٢ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِِنَّسٌ قَبْلَهُمْ  
 وَلَا جَانٌّ﴾ ٧٤ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٧٥ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ  
 ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٧٧ ﴿نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ٧٨﴾

على الفاكهة؛ لفضلها كأنهما جنسان آخران لما لهما مِنَ المِزَّةِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ  
 تَكْذِبَانِ﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ أي: خَيْرَاتٌ فَخُفِّفَتْ، والمعنى: فَاضِلَاتُ  
 الأخلاق، حِسَانُ الخَلْقِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي  
 الْخِيَامِ﴾ أي: مُحَدَّرَاتٌ - مُلَازِمَاتٌ للبيوت مُلَازِمَةٌ تَعَفُّفٍ وَصِيَانَةٍ، يقال: امرأةٌ  
 قَصِيرَةٌ وَمَقْصُورَةٌ، أي: مُحَدَّرَةٌ، وقيل: الخِيَامُ مِنَ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ  
 رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ ٧٣ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِِنَّسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنتين، ودَلَّ عليهم  
 ذِكْرُ الجنتين ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ نُصِبَ على الاختصاص  
 ﴿عَلَى رَفْرَفٍ﴾ هو كُلُّ ثَوْبٍ عَرِيضٍ، وقيل: الوسائد ﴿خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾  
 دِيبَاجٍ، أو طَنَافِسُ جَمْعِ طُنْفُوسَةٍ، وهي البِسَاطُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ وإِنَّمَا  
 كَانَتْ صِفَاتُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ دُونَ صِفَاتِ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، حَتَّى قِيلَ: ﴿وَمِنْ  
 دُونِهِمَا﴾؛ لِأَنَّ ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ دُونَ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، و﴿نَضَّاحَتَانِ﴾ دُونَ  
 ﴿بَجْرِيَانِ﴾، و﴿فَنَكْهَةٌ﴾ دُونَ ﴿كُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾، وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْحُورِ وَالْمُتَكَأِ.

﴿نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ﴾ ذِي الْعِظْمَةِ، وَهُوَ صِفَةُ لـ ﴿رَبِّكَ﴾، وَقَرَأَ ابْنُ  
 عَامِرٍ: (ذُو الْجَلَالِ) بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْإِسْمِ ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ بِالْإِنْعَامِ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ (الرَّحْمَنِ) عَلَى  
 أَصْحَابِهِ حَتَّى فَرَّغَ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لَلْجَنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا

قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَّرَّةٍ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالُوا: وَلَا بَشَيْءٌ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ»<sup>(١)</sup>.

### من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ على الرأى القائل بأنَّ النجم مرادُّ به نجوم السماء، يكون هناك استعارةٌ تصرّيجيّةٌ، حيث شبه النجم والشجر في انقيادهما لأمر الله، بالسّاجد الذي ينقاد لأمر ربه.

- كرّر لفظ ﴿الْمِيزَاتِ﴾ تشديداً للتوصية به، وتأكيداً لضرورة استعماله.  
- في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ تشبيهُ، فقد شبه السفن وهي تشقُّ أمواج البحر بالجبال الضخمة الطويلة.

- في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ استعارةٌ من قول الرّجل لمن يتهدّده: سأفْرُغُ لك، أي: سأترك كل ما يشغلني عن الإيقاع بك.

\*\*\*

(١) رواه الحاكم بسند صحيح.



## بعض ما يُستفاد من السُورة الكريمة:

- ١- نِعَمُ اللَّهِ على خَلْقِهِ عَظِيمَةٌ، لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.
- ٢- من أعظم نِعَمِ اللَّهِ على الإنسان نِعْمَةُ الدِّينِ.
- ٣- من الواجب على المسلم إقامة العَدْلِ في الأرض.
- ٤- دلائل قدرة اللَّهِ في الكون، تُلْزِمُنَا بالإقرار بوحْدانيَّتِهِ وربوبيَّتِهِ.
- ٥- لا يستطيع أحدٌ من الخَلْق أن يَنْفِذَ من قبضة الخالق سبحانه.
- ٦- ليوم القيامة أهوالٌ تتغيَّرُ بها طبيعة الكون.
- ٧- يُعَذَّبُ أَهْلُ الكُفْرِ عَذَابًا فيه ذِلَّةٌ وهوان.
- ٨- أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ حَقَّقَ مقام الخوف منه ما تشتهي نفسه، وتلذُّ عينُهُ.

\*\*\*



## الأسئلة

س ١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾؟ وما معنى ﴿الْبَيَانَ﴾؟  
وما إعراب هذه الجمل: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ -  
﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾؟ ولماذا جاءت بدون حرف العطف؟

س ٢: هل هناك تعارض بين قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾  
وقوله: ﴿مِنْ حَمِإٍ مَّسْنُونٍ﴾<sup>(١)</sup> وغيرها من الآيات التي تتحدث عن  
خلق الإنسان؟ وضح ذلك؟ ولماذا كرر لفظ ﴿الْمِيزَاتِ﴾؟

س ٣: كيف توفق بين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾  
وبين قوله: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾؟ وما إعراب ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى  
فُرْشٍ﴾؟ وما معنى ﴿وَحَنَى الْجَنَيْنَ دَانٍ﴾؟

س ٤: لماذا تكرر قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ آيَ الْآلَاءِ رَكُوعًا﴾ ومن المخاطب بهذا  
القول الكريم؟

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾.

- قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾.

س ٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

(١) سورة الحجر. الآية: ٢٨.

azhar.edu

## سورة الواقعة

(مكية وهي: سبع وتسعون آية)

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ (٨)﴾

### أصناف الناس يوم القيامة:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. وقيل: وُصِفَتْ بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة. وَنُصِبَتْ ﴿إِذَا﴾ بإضمار اذكر ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله، وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ ترفع أقوامًا وتضع آخرين ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء، وهو بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أي: وفتت حتى تعود كالسويق<sup>(١)</sup>، أو: سبقت من بس الغنم: إذا ساقها كقوله تعالى: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غبارًا ﴿مُنْبَثًا﴾ متفرقًا ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ صنفان في الجنة، وصنف في النار. ثم فسر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ، وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيامهم ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر المبتدأ الأول، وهو تعجب من حالهم

(١) السويق طعام يتخذ من مدقوق الحنطة أو الشعير. كذا في المعجم.

(٢) سورة النبأ. الآية: ٢٠.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾ ٨ ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾ ٩ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ١٢ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ١٤ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ ١٥ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ ١٦

في السعادة، وتعظيم لشأنهم، كأنه قال: ما هم؟ وأي شيء هم؟ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾ أي: الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم، أو: أصحاب المنزل السنيّة، وأصحاب المنزل الدنيّة الحسيّة، من قولك: فلان مني باليمين، وفلان مني بالشمال: إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعفة. وذلك لتيمنهم باليما من وتشاؤمهم بالشمال. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾ أي: أي شيء هم؟ وهو تعجيب من حالهم في الشقاء.

### السابقون صفاتهم وجزاؤهم:

﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ خبره، تقديره: السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنات، وقيل: الثاني تأكيد للأول، والخبر ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، والأول أوجه ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: هم في جنات النعيم ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: هم ﴿ثَلَاثَةٌ﴾، والثلة: الأئمة من الناس الكثيرة، والمعنى: أن السابقين كثير ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وهم الأمم من لدن آدم إلى نبينا محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. وهم: أمة محمد ﷺ ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير، ككثيب وكثب ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَى﴾ وهو العامل فيها، أي: استقروا عليها ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ ﴿عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: ينظر بعضهم في وجوه بعض، ولا ينظر بعضهم في أقباء بعض. وُصفوا بحسن العشرة، وتهذيب

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدْعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾

الأخلاق، وصفاء المودة، و﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ حال أيضًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ يخدمهم ﴿وِلْدَانٌ﴾ أي: غلمان. جمع: وليد ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ باقون أبدًا على شكل الولدان، لا يتحولون عنه. وقيل: مُقَرَّرُونَ. والخلدة: القُرط ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ جمع: كوب، وهي آنية لا عُرْوَة لها، ولا خرطوم ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع: إبريق، وهو ماله خرطوم وعروة ﴿وَكأْسٍ﴾ أي: وقدح فيه شراب، وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ من خمر تجري من العيون ﴿لَا يَصَدْعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقتها: لا يصدر صداعهم عنها، أو: لا يُفَرِّقُونَ عنها ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ ولا يسكرون، نُزِف الرجل: ذهب عقله بالسكر. وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا ينفذ شرابهم، يقال: أنزف القوم: إذا فني شرابهم ﴿وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يأخذون خيره وأفضله ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون ﴿وَحُورٌ﴾ جمع: حُوراء ﴿عِينٌ﴾ جمع: عَيْناء. أي: وفيها حور عين، أو: ولهم حور عين، ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿وِلْدَانٌ﴾، وقرأ (وَحُورٍ) بالجر، يزيد وحزمة والكسائي عطفًا على ﴿جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾، كأنه قال: هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ﴾ في الصفاء، والنقاء ﴿الْمَكُونِ﴾ المصون ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، أي: يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمالهم، أو: مصدر (مفعول مطلق). أي: يجزون ﴿جَزَاءً﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ أي: باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: هذيانا ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾

أي: إلا قولاً ذا سلامة، والاستثناء منقطع، و﴿سَلَامًا﴾ بدل من ﴿قِيلًا﴾، أو: مفعول به لـ ﴿قِيلًا﴾ أي: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً، والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلاماً بعد سلام.

### أصحاب اليمين وجزاؤهم:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ السدر: شجر النبق والمخضود: الذي لا شوك له، كأنها نزع شوكة ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿٢٩﴾ الطلح: شجر الموز، والمنضود: الذي بعضه فوق بعض من أسفله إلى أعلاه؛ فليست له ساق بارزة ﴿وَضِلِّ مَمْدُودٍ﴾ ﴿٣٠﴾ أي: ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ ﴿٣١﴾ أي: جارٍ بلا حِدٍّ ولا خَدٍّ، أي: تجري على الأرض في غير شَقٍّ ﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ ﴿٣٢﴾ أي: كثيرة الأجناس ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ ﴿٣٣﴾ أي: لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا، بل هي دائمة ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ﴿٣٤﴾ أي: لا تمنع عن تناولها بوجه ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: رفيعة القدر، أو: جعل بعضها فوق بعض حتى ارتفعت، أو: مرفوعة على الأسرّة. وقيل: هي النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش، و﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ ﴿٣٥﴾ أي: على الأرائك؛ قال الله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ <sup>(١)</sup> ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ أي: ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة، فإمّا أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاءهن، أو اللاتي أعيد

﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَجْبَارًا﴾ ٣٦ ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ ٣٧ ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٣٨ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٩  
 وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ  
 مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى  
 الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

إنشأوهن أبكاراً ﴿عُرْبًا﴾ جمع: عُرُوب، وهي: المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعيل  
 ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهن كذلك،  
 واللام في ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ من صلة ﴿أَنْشَأْنَا﴾، ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي: أصحاب  
 اليمين ثلثة ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٩ ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ٤٠ فإن قلت: كيف قال قبل هذا  
 ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ٤١ ثم قال هنا ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ٤٢؟ قلت: ذاك في السابقين،  
 وهذا في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعاً، وعن  
 الحسن: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة.

### أصحاب الشمال وجزاؤهم:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الشمال والمشأمة واحد ﴿فِي سُمُومٍ﴾ أي:  
 في حر نار ينفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: وماء حار متناهي الحرارة ﴿وِظِلٍّ  
 مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ أي: من دخان أسود ﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ نفى لصفتي الظل عنه؛  
 يريد أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال، سمى ظلًا ثم نفى برد الظل وروحه  
 ونفعه من يأوي إليه من أذى الحر - وذلك كرمه - ليُطْل ما في مدلول الظل  
 من الاسترواح إليه. والمعنى: أنه ظل حار ضار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في  
 الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ مُنْعَمِينَ؛ فمَنَعَهُمْ ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار  
 ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ يداومون ﴿عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: على الذنب العظيم، أو على

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أُنَّا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّتِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الْأَصْطَلُونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

الشرك؛ لأنه نقض عهد الميثاق، والحِث: نقض العهد المؤكد باليمين، أو: الكفر بالبعث، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تقديره: أنبعث إذا متنا، وهو العامل في الظرف، وجاز حذفه؛ إذ ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ يدل عليه، ولا يعمل فيه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾؛ لأن ﴿إِنَّ﴾ والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ﴿أَوَّابًا أُنَّا الْأَوَّلُونَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف، وحسن العطف على المضمر في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ من غير توكيد بنحن؛ للفاصل الذي هو الهمزة، كما حسن في قوله: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾<sup>(٢)</sup> لفصل «لا» المؤكدة للنفي ﴿قُلْ إِنَّتِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى: من، كخاتم فضة. والميقات: ما وُقت به الشيء، أي: حد، ومنه مواقيت الإحرام. وهي: الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا مُحْرِمًا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَا الْأَصْطَلُونَ﴾ عن الهدى ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم ﴿لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ﴾ ﴿مِّنْ﴾: لابتداء الغاية ﴿مِّنْ زُفُورٍ﴾ ﴿مِّنْ﴾: لبيان الشجر ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ أنث ضمير الشجر على المعنى في (منها)، وذَكَرَهُ على اللفظ في ﴿عَلَيْهِ﴾ ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ هي: إبل عطاش لا تُروى. جمع: أَهْيَمَ

(١) سورة النحل. الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأنعام. الآية: ١٤٨.



﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ٥٦ ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴾ ٥٧ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴾ ٥٨ ﴿ أَسَأْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ٦٠ ﴿ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾

وهيأ، والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمُهْل، فإذا ملأوا منه البطون، سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم، الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم، وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين - وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين -؛ لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً؛ فكانتا صفتين مختلفتين ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُ ﴾ النزل: هو الرزق الذي يُعَدُّ للنازل تكرمة له ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم الجزاء.

### براهين البعث:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً ﴿ تَصَدَّقُونَ ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخلق؛ لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به، وإما بالبعث؛ لأن من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴾ ما تمنونه؛ أي: تقذفونه في الأرحام من النطفة ﴿ أَسَأْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ تقدرونه، وتصورونه، وتجعلونه بشراً سويّاً ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ تقديرًا، وقسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوٍ، كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ سبقتة بالشيء: إذا أعجزته عنه، وغلبته عليه، فمعنى قوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ٦٠ ﴿ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه،

﴿وَنَنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُٗٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾

﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ جمع: مثل. أي: على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق  
﴿وَنَنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها، وما عهدتم  
بمثلها، يعني: أنا نقدر على الأمرين جميعاً، على خلق ما يماثلكم، وما لا يماثلكم،  
كيف نعجز عن إعادتكم؟ ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ جمع: مثل. أي: على أن  
نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات  
لا تعلمونها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على شيء مرة  
لم يمتنع عليه ثانياً، وفيه دليل صحة القياس؛ حيث جهلهم في ترك قياس النشأة  
الأخرى على الأولى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ما تحرثونه من الطعام، أي: تثيرون  
(أرضه) وتلقون فيها البذر ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُٗٓ﴾ تُبْنُونَهُ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾  
الْمُنْتُونَ، وفي الحديث: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، وليقل: حرثت»<sup>(١)</sup> ﴿لَوْ  
نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ هشيماً متكسراً قبل إدراكه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تَعَجَّبُونَ،  
أو: تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو: تندمون على ما اقترفتُم من  
المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها ﴿إِنَّا﴾ أي: تقولون ﴿إِنَّا﴾ ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾  
لْمُزْمُونَ غرامة ما أنفقنا، أو: مُهْلِكُونَ لهلاك رزقنا، من: الغرام، وهو: الهلاك<sup>(٢)</sup>  
﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ أي: لا حظّ لنا، ولا بخت لنا.

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان والبيهقي.

(٢) الغرام هو التعلق بالشيء تعلقاً لا يستطيع التخلص منه، والغرام: العذاب الدائم الملازم، وصدق الله  
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ٦٨ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ٦٩ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ٧٠ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ٧١ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ٧٢ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ ٧٣

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أي: الماء العذب الصالح للشرب ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب الأبيض، وهو أعذب ماء ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ بقدرتنا؟ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحًا، أو: مُرًّا لا يُقدَّر على شربه ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فهلا تشكرون، ودخلت اللام على جواب ﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ ونزعت منه هنا؛ لأن ﴿لَوْ﴾ لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تَعَلَّقُ الجزاء بالشرط، ولم تكن مُخْلِصَةً للشرط كإِن، ولا عاملة مثلها، افتقرت في جوابها إلى ما يكون علامةً على هذا التعلق؛ فزيدت هذه اللام؛ لتكون علامةً على ذلك، وَلَمَّا عُلِمَ كونها علامةً على هذا التعلق في قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ لم يبالِ بإسقاطها في قوله: ﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾؛ لعلم كل أحد به وتساوى حالي حذفه وإثباته؛ لأن تقدُّم ذكرها والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكرها ثانية؛ ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفقده أشدُّ وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يُحتاج إليه تبعًا للمطعوم؛ ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: توقدون ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ الخالقون لها ابتداءً ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ أي: النار ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا بنار جهنم، حيث علقنا بها أسباب المعاش، وعممنا بالحاجة إليها البلوى؛ لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها، ويذكرون ما أوعدوا به ﴿وَمَتَاعًا﴾ ومنفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: للمسافرين النازلين في القواء، وهي: الخلاء من الناس، أو:

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٧٦﴾

للذين خلت بطونهم، أو مزادهم من الطعام، من قولهم: أَقَوْتُ الدار إذا خلت من ساكنيها، وقد بدأ بذكر خلق الإنسان فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾؛ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما به قوامه، وهو: الحُبُّ، فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾، ثم بما يُعجن به، ويُشرب عليه وهو: الماء، ثم بما يُحز به وهو: النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة، ولا يستغني عنه الجسد ما دام حيًّا ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ فنزهه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل، أو: أراد بالاسم الذكر، أي: سبِّح بذكر ربك ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ صفة للمضاف، أو للمضاف إليه، وقيل: قل: سبحان ربي العظيم، وجاء مرفوعًا: أنه لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»<sup>(١)</sup>.

### صدق القرآن:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ أي: فأقسم، و﴿ لَا ﴾ مزيدة مؤكدة<sup>(٢)</sup>، مثلها في قوله: ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٣)</sup> ولا يصح أن تكون اللام لام القسم؛ لأن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة ﴿ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ بمساقطها ومغاربها، ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو: للملائكة عبادات موصوفة، أو: لأنه وقت قيام المتهجدين، ونزول الرحمة والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ وهو اعتراض في اعتراض؛ لأنه اعترض به بين القسم

(١) حديث حسن رواه أحمد وغيره.

(٢) المراد - كما سبق - زيادة إعراب لا زيادة معنى.

(٣) سورة الحديد. الآية: ٢٩.

﴿إِنَّهُ لَقَرَّانٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّظَرُونَ ﴿٨٤﴾

والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَرَّانٌ كَرِيمٌ﴾ أي: حسن مرضي، أو: نفاع جمّ المنافع، أو: كريم على الله، واعترض بـ ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مصون عن أن يأتيه الباطل، أو: من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من جميع الأدناس، أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لـ ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، وهو اللوح، وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسّه إلا من هو على الطهارة من الناس، والمراد: مسّ المكتوب منه ﴿تَنْزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن، أي: مُنَزَّلٌ ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أو: وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجوماً من بين سائر كتب الله، فكأنه في نفسه تنزيل، ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، ف قيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل، أو: هو ﴿تَنْزِيلٌ﴾ على حذف المبتدأ ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ متهاونون به، كمن يذهن في بعض الأمر، أي: يلين جانبه، ولا يتصلب فيه تهاوئاً به ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، أي: وضعتم التكذيب موضع الشكر، وقيل: نزلت في الأنواء<sup>(١)</sup>، ونسبتهم السقيا إليها (رواه مسلم)<sup>(٢)</sup>، والرزق: المطر، أي: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس، أي: الروح عند الموت ﴿الْحُلُقُومَ﴾ ممر الطعام والشراب ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّظَرُونَ﴾ الخطاب لمن حضر

(١) الأنواء جمع نوء، والنوء النجم إذا مال للغروب.

(٢) ونص الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي: أصبح من الناس شاكرو ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرَ لَكُمْ ۖ فَلَوْلَا إِنَّ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا  
 إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ  
 الضَّالِّينَ﴾

الميت تلك الساعة ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ إلى المحتضر ﴿مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرَ لَكُمْ﴾  
 لا تعقلون ولا تعلمون ﴿فَلَوْلَا إِنَّ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مربوبين من: دان  
 السلطان الرعية: إذا ساسهم ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ تردون النفس، وهي الروح إلى  
 الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنكم غير مربوبين مقهورين  
 ﴿فَلَوْلَا﴾ في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلاً، وهو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾  
 واكتفى بذكره مرة، وترتيب الآية: ﴿فَلَوْلَا﴾ ترجعونها ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ إن  
 كنتم غير مدنيين، و﴿فَلَوْلَا﴾ الثانية مكررة للتأكيد ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يا  
 أهل الميت بقدرتنا وعلمنا، أو: بملائكة الموت، والمعنى: أنكم في جحودكم آيات  
 الله في كل شيء: إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم: سحر وافتراء، وإن أرسل  
 إليكم رسولاً صادقاً قلتم: ساحر كذاب، وإن رزقكم مطراً يحْيِيكم به قلتم:  
 صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا، على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل، فما لكم لا ترجعون  
 الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثَمَّةَ قابض، وكنتم صادقين في  
 تعطيلكم وكفركم بالمحيي الميت المبدئ المعيد؟! ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المتوفَّى ﴿مِنَ  
 الْمُقَرَّبِينَ﴾ من السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق ﴿وَجَنَّتْ  
 نَعِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: فسلام  
 لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين. أي يسلمون عليك، كقوله:  
 ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ <sup>(١)</sup> ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الضَّالِّينَ﴾ هم الصنف

(١) سورة الواقعة. الآية: ٢٦.

﴿ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ١٣ ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ ١٤ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ ١٥ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

الثالث من الأزواج الثلاثة، وهم الذين قيل لهم في هذه السورة: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَ الْأَصْلَاحُونَ الْمَكْذِبُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ١٣ ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ أي: إدخال فيه، وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملة واحدة، وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين؛ لأنهم غير مكذبين ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي: الحق الثابت من اليقين ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾. والله أعلم.

\*\*\*

(١) سورة الواقعة. الآية: ٥١.



- الطباق بين ﴿الْيَمِينَةِ﴾ و﴿الْمَشَمَةِ﴾، وبين ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿الْآخِرِينَ﴾، وبين ﴿خَافِضَةً﴾ و﴿رَافِعَةً﴾.

- في قوله تعالى: ﴿خَافِضَةً رَافِعَةً﴾ إسناده الخفض والرفع إلى القيامة مجاز عقلي؛ لأن الخافض والرافع على الحقيقة هو الله وحده، يرفع أوليائه ويخفض أعداءه، ونسب إلى القيامة مجازاً، كقولهم: «نهاره صائم».

- في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ تشبيه مرسل مجمل، أي: كأمثال اللؤلؤ في بياضه وصفائه، حذف منه وجه الشبه، فهو مرسل مجمل.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ تفعيم وتعظيم؛ حيث كرره بطريق الاستفهام تفعيماً.

- في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ تأكيد للمدح بما يشبه الذم؛ لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم، فهو مدح لهم بإفشاء السلام، وهذا كقول القائل: «لا ذنب لي إلا محبتك».

- في قوله تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ تهكُّم واستهزاء، أي: هذا العذاب أول ضيافتهم يوم القيامة، ففيه سخرية وتهكُّم بهم؛ لأن النزل هو أول ما يقدم للضيف من الكرامة.

- في قوله تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وذلك للتحقير من شأنهم، والأصل: هذا نُزْلُكُمْ.

- في قوله: ﴿وَلِئِنَّهُ لَفَسُّمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراض؛ لأنه



اعترض بالآية الكريمة بين القسم ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾؛ للفت الأنظار إلى أهمية القسم. واعترض بـ ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف ﴿لَقَسْمٌ﴾ وصفته ﴿عَظِيمٌ﴾ للتهويل من شأن القسم.

### لطيفة:

المناسبة بين المُقْسَم به وهو: النجوم، وبين المقسم عليه وهو: القرآن في قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: أَنَّ النجوم جعلها الله ليهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والضلالة، وتلك ظلمات حسية، وهذه ظلمات معنوية، فالقسم جاء جامعاً بين الهدايتين: الحسية للنجوم، والمعنوية للقرآن، فهذا وجه المناسبة. والله أعلم.

\*\*\*

## بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- وقوع القيامة حقٌّ ثابتٌ لا ريب فيه، لا يستطيع أحد تكذيبه عند حدوثه كما كان يحصل في الدنيا.
- ٢- القيامة ترفع أقوامًا وهم أولياء الله إلى الجنة، وتخفض آخرين وهم أعداء الله إلى النار.
- ٣- أصناف الناس يوم القيامة ثلاثة: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون.
- ٤- السابقون المقربون هم جماعة من الأمم الماضية، وقليل ممن آمن بمحمد ﷺ، لأنَّ الأنبياء المتقدمين كثيرون، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا.
- ٥- تقرير صحة القياس؛ حيث جَهَّلَهُمْ في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.
- ٦- أصناف الناس عند الاحتضار ثم الوفاة ثلاثة: المقربون السابقون، وأهل اليمين، وأهل الشمال.
- ٧- الكفر كله ملة واحدة، وأصحاب الكبائر من أهل اليمين؛ لأنهم غير مكذبين.

\*\*\*

## الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾؟ ولم نصبت ﴿إِذَا﴾؟ وما معنى ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾؟ وما المراد من قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾؟

س ٢: ما إعراب ﴿وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونَ﴾؟ وما معناه؟ وما الثلثة؟ وما المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ؟ وما معنى ﴿مَوْضُونَةٍ﴾؟ وما إعراب ﴿مُتَّكِعِينَ﴾؟

س ٣: ما السدر؟ وما معنى ﴿مَحْضُودٍ﴾؟ وما الطلح؟ وما معنى ﴿مَنْضُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿مَمْدُودٍ﴾؟ وما معنى ﴿مَسْكُوبٍ﴾؟ وما المراد بالفرش المرفوعة؟ وما معنى ﴿أَنشَانَهُنَّ﴾؟

س ٤: لماذا أقسم الله على جلال القرآن وأنه من اللوح المحفوظ وتنزيل رب العالمين؟

س ٥: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ.

- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا.

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

س ٦: بين وجه التناسب بين أول السورة وآخرها.

س ٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

azhar.edu

## سورة الحديد

(مكية وهي: تسع وعشرون آية)

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)

تسبيح الله وتنزيهه:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ جاء في بعض فواتح السور ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي، وفي بعضها ﴿يُسَبِّحُ﴾ بلفظ المضارع، وفي سورة بني إسرائيل (الإسراء) بلفظ المصدر ﴿سُبِّحَنَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي الأعلى بلفظ الأمر ﴿سَبِّحْ﴾ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها الأربع: المصدر والماضي والمضارع والأمر؛ للإشعار بأن التسبيح لا يكون إلا لله.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما يتأتى منه التسبيح ويصح ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المنتقم من مُكَلَّفٍ لم يُسَبِّحْ له عناداً ﴿الْحَكِيمُ﴾ في مجازاة مَنْ سَبَّحَ له انقياداً. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿يُحْيِي﴾ في محل رفع أي: هو يحيي الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء، أو نصب أي: له ملك السموات والأرض حُيِّياً ومُيِّتاً ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾؛ لكونه غير مدرك بالحواس، وإن كان مرئياً<sup>(٢)</sup>، وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه، والباطن الذي بطن كل شيء، أي: علم باطنه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(١) سورة الإسراء. الآية: ١.

(٢) أي بانثار قدرته المثبوتة في الكون: وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥﴾  
 ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٦﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ عن الحسن: من أيام الدنيا، ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل، ولكن جعل الستة أصلاً لتعليم العباد الثاني والثبت في الأمور ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ استولى<sup>(١)</sup> ﴿عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ ما يدخل في الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال والدعوات ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ بالعلم والقدرة عموماً، وبالفضل والرحمة خصوصاً ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على حسب أعمالكم.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴿يُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ بِأَنْ يَنْقُصَ مِنَ اللَّيْلِ وَيَزِيدَ مِنَ النَّهَارِ﴾ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦﴾.

### الحث على الإيمان والإنفاق:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ يحتمل الزكاة والإنفاق في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله،

(١) وقيل: استواء يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل مع العلم بأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٠﴾

وإنما أعطاها لكم للاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ جملة فعلية في محل نصب على الحال من معنى الفعل في ﴿مَا لَكُمْ﴾، أي: وما لكم كافرين بالله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ جملة اسمية في محل نصب على الحال، «والواو»: واو الحال، والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم، فهما حالان متداخلتان ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، أو بما ركب فيكم من العقول، ومكنكم من النظر في الأدلة ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تريدون الإيمان بالله، فبادروا إليه<sup>(٢)</sup>.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ﴾ يعني: القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُمْ﴾ الله تعالى، أو محمد بدعوته ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرأفة أشد الرحمة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ أي: وما لكم في أن لا تنفقوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيها لا يبقى منه باقٍ لأحد من مال وغيره، يعني: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله، والله مهلككم فوارث أموالكم.

(١) سورة الأعراف. الآية: ١٧٢.

(٢) والخطاب في هذه الآيات يجوز أن يكون للمؤمنين، ويجوز أن يكون للكافرين، والقول بالعموم أولى لتوبيخ من لم يؤمن، وحث من آمن بالثبات على إيمانه والإنفاق في سبيل الله.

(٣) ويجوز أن يكون معنى الرأفة دفع المكروه والرحمة إيصال المحبوب.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوْلَيْكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ أي: لا تساوي بين من أنفق قبل فتح مكة، ومن أنفق من بعد فتحها ﴿أُوْلَيْكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح، وهم السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه» (١).

﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا﴾ أي: كل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى، وهي الجنة مع تفاوت الدرجات ﴿وَكَلَّا﴾ مفعول أول لـ ﴿وَعَدَ﴾، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مفعول ثانٍ، نزلت في أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه أول من أسلم، وأول من أنفق في سبيل الله، وفيه دليل على فضله وتقدمه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم على قدر أعمالكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بطيب نفسه، والمراد الإنفاق في سبيل الله، واستعير لفظ القرض؛ ليدل على التزام الجزاء ﴿فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ أي: يعطيه أجره على إنفاقه أضعافاً مضاعفة من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أو منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر. ﴿يَسْعَىٰ﴾ يمضي ﴿نُورُهُمْ﴾ نور التوحيد والطاعات، وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾؛ لأنَّ السعداء يُؤتون صحائف أعمالهم من

(١) رواه البخاري ومسلم.



﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾

هاتين الجهتين، كما أَنَّ الْأَشْقِيَاءَ يُؤْتَوْنَهَا مِنْ شِمَائِلِهِمْ وَوَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَيُجْعَلُ النُّورُ فِي هَاتَيْنِ الْجَهْتَيْنِ شِعَارًا لَهُمْ، وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ أَي: دُخُولُ جَنَّاتٍ ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

### حال المنافقين يوم القيامة:

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ هُوَ بَدَلُ مِنْ ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ أَي: انظُرُونَا؛ لِأَنَّهُ يُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ كَالْبُرُوقِ الْخَاطِفَةِ ﴿نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ أَي: نَلْحَقُ بِكُمْ فَنَسْتَنِيرُ بِنُورِكُمْ ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ طَرَدُ لَهُمْ وَتَهَكُّمُ بِهِمْ، أَي: تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ الْمُؤْمِنُونَ: ارْجِعُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُعْطِينَا فِيهِ هَذَا النُّورَ فَالْتَمِسُوهُ هُنَاكَ، أَوْ ارْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَالْتَمِسُوا نُورًا بِتَحْصِيلِ سَبَبِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿بِسُورٍ﴾ بِحَائِطٍ حَائِلٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قِيلَ: هُوَ الْأَعْرَافُ ﴿لَهُ﴾ لِذَلِكَ السُّورِ ﴿بَابٌ﴾ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ مِنْهُ.

﴿بَاطِنُهُ﴾ بَاطِنُ السُّورِ، أَوْ الْبَابِ وَهُوَ الشَّقُّ الَّذِي يَلِي الْجَنَّةَ ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أَي: النُّورُ، أَوْ الْجَنَّةُ ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ مَا ظَهَرَ لِأَهْلِ النَّارِ ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ مِنْ عِنْدِهِ، وَمِنْ جِهَتِهِ ﴿الْعَذَابُ﴾ أَي: الظُّلْمَةُ وَالنَّارُ.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالنفاق، وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ وشككتهم في التوحيد ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾ طول الآمال، والطمع في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، وغرركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم، أو غرركم بأنه لا بعث ولا حساب.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿فِدْيَةٌ﴾ أي: ما يُفْتَدَى به ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ النَّارُ﴾ أي: مرجعكم ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

### تحذير المؤمنين من الغفلة عما نزل من القرآن:

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يأت وقته، من أنى الأمر يأنى إذا جاءه إناه، أي: وقته. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿وَمَا﴾ اسم موصول بمعنى الذي، والمراد بالذكر الذي نزل من الحق: القرآن؛ لأنه جامعٌ للأمرين للذكر والموعظة، وأنه حقٌ نازلٌ من السماء ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿يَكُونُوا﴾ معطوف على ﴿تَخْشَعَ﴾، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب - اليهود والنصارى - في قسوة القلوب؛ وذلك أن بني

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٨) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾

إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله وركت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا، وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ الزمن ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ باتباع الشهوات ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن حدود دينهم، مخالفون للأوامر والنواهي. أي: وقليل منهم مؤمنون. ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ ﴾ هو اسم فاعل من صدَّق، وهم الذين صدَّقوا الله ورسوله، يعني: المؤمنين ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ معطوف على معنى الفعل في ﴿ الْمُصَدِّقِينَ ﴾؛ لأنَّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو: اصدَّقُوا، كأنه قيل: إنّ الذين اصدَّقُوا وأقرضوا، والقرض الحسن: أن يتصدَّق عن طيب نفس وإخلاص نية على المستحق للصدقة ﴿ يُّضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ ثواب جميل، ورزق حسن هو الجنة.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يريد أنّ المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله بمنزلة الصّديقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ أي: مثل أجر الصّديقين

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

والشهداء، ومثل نورهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبره ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

### جانب من حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة:

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ أي: لا فائدة فيها، كلعب الصبيان ﴿وَلَهُمْ﴾ أي: ما يشغل الإنسان عما يعنيه كلهو الفتیان ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: ما يُتَزَيَّن به، كالمناصب العالية، والمنازل الرفيعة ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ بالألقاب والأعجاد والأنساب، كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: مباهاة بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ متفتتاً متكسراً.

شبه حال الدنيا في سرعة زوالها بنبات أنبتته المطر فاستوى وقوي، وأعجب به الكُفَّار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من المطر والنبات، فبعث عليه الريح فهاج واصفرَّ، وصار حطاماً عقوبةً لهم على جحودهم، وقيل: الكُفَّار هنا الزُّرَّاع؛ لأنهم يكفرون البذر في الأرض، أي: يَسْتَرُونَهُ بالتراب.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ للمؤمنين.

يعني: أنَّ الدنيا وما فيها ليست إلا أمور حقيرة، وهي اللعب واللَّهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأمَّا الآخرة فليس فيها إلا أمور عظيمة، وهي العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد، والكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ

في محل رفع على أنه خبر بعد خبر، أي: الحياة الدنيا مثل غيث ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ لمن ركن إليها واعتمد عليها.

قال ذو النون: «يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا، وإن طلبتموها فلا تحبوها، فإن الزاد منها والمقيل في غيرها».

ولمَّا حَقَّرَ الدنيا وصَغَّرَ أمرها، وعَظَّمَ أمر الآخرة حثَّ عباده على المسارعة إلى نيل المغفرة المنجية من العذاب الشديد، والفوز بدخول الجنة بقوله:

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: سارعوا مسارعة المتسابقين بالأعمال الصالحة إلى ما يوجب المغفرة لكم من ربكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر العرض دون الطول؛ لأنَّ كلَّ ما له عرض وطول، فإنَّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة عُرف أنَّ طوله أبسط ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿٢١﴾ هذا دليل على أنَّ الجنة مخلوقة ﴿ذَٰلِكَ﴾ ﴿الموعود من المغفرة والجنة﴾ ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليلٌ على أنَّه لا يدخل أحدُ الجنة إلا بفضل الله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

### الإيمان بالقضاء والقدر:

ثم بيَّن أنَّ كلَّ شيء كائنٌ بقضاء الله وقدره بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من الجذب، وآفات الزروع، والثمار، وقوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار

﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢)  
 لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ  
 الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ﴾

ومحذور متعلق بمحذوف، أي: ما أصاب من مصيبة ثابتة في الأرض ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وموت الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وهو في محل نصب على الحال، أي: إلا مكتوباً في اللوح ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ من قبل أن نخلق الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إن تقدير ذلك، وإثباته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وإن كان عسيراً على العباد.

ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: لا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح المختال الفخور ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: أعطاكم من الإيتاء، يعني: أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدّر مكتوب عند الله قل حزنكم على الفائت، وفرحكم بالآتي؛ لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يحزن عند فقده؛ لأنه وطّن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه، وأن وُصُوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيّله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾؛ لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه افتخر وتكبر به على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من ﴿كُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد الذين يفرحون الفرح المطغّي إذا رزقوا ما لا وحظاً من الدنيا ويبخلون به ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم في الإمساك ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرض عن الإنفاق، أو عن أوامر

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾

اللَّهُ ونواهيهِ، ولم ينتهِ عَمَّا نُهي عنه من الأَسَى على الفاتئ والفرح بالآتي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن جميع المخلوقات فكيف عنه! ﴿الْحَمِيدُ﴾ في أفعاله.

### الغاية من بعثة الرسل:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: أَرْسَلْنَا الملائكة إلى الأنبياء، وأَرْسَلْنَا الأنبياء إلى أقوامهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الوحي ﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ أي: ليتعاملوا بينهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، ولا يظلم أحدٌ أحدًا ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ خلقناه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم، وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين، وقال الزجاج: ليعلم الله مَنْ يُقاتل مع رسوله في سبيله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: غائبًا عنهم في الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ يدفع بقوته بَأْسَ مَنْ يُعرض عن ملته ﴿عَزِيزٌ﴾ ينصر بعزته أهل طاعته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ خَصَّ نُوحًا وإبراهيم بالذكر؛ لأنَّهما أبوان للأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ في أولادهما ﴿النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ الوحي ﴿فَمِنْهُمْ﴾ فمن الذرية، أو من المرسل إليهم ﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: فمنهم مَنْ اهتدى باتِّباع الرسل، [وكثير منهم فُسِّقَ أي: خرج عن الطاعة، وهم الأكثرون].



﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: بعثنا بعد نوح وإبراهيم ومن مضى من الأنبياء ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ مودة وليناً ﴿وَرَحْمَةً﴾ تعطفاً على إخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي الانقطاع للعبادة عن الناس، واتخاذ الصوامع في الجبال وغيرها، وهي منصوبة بفعل محذوف يفسره ما بعدها تقديره: وابتدعوا رهبانية ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: استحدثوها من عند أنفسهم، ونذروها وليست في دينهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ لم نفرضها نحن عليهم، ولا أمرناهم بها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله لا يحل نقضه ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى ﷺ، أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ كافرون.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب لأهل الكتاب - اليهود والنصارى - ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كَفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا﴾



﴿ تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٨) ﴿لِتَلَامِعَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩) ﴿

﴿ تَمْشُونَ بِهِ ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ (١) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لِتَلَامِعَ﴾ أي: ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يُسلموا، و﴿لَا﴾ هنا زائدة ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ يعني: لا يقدرُونَ ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضل الله من الكفيلين والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلاً قط ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ﴾ معطوف على ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾ أي: في ملكه وتصرفه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، والله أعلم.

### من الأسرار البلاغية:

- بين قوله تعالى: ﴿نُجَى وَيُمِيتُ﴾، وكذا بين ﴿الْأَوَّلَ وَالْآخِرُ﴾، وبين ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ طباق.

- بين قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ إيجاز بالحذف، حيث حذف: وَمَن أَنْفَقَ من بعد الفتح وقاتل؛ لدلالة الكلام عليه بعدئذٍ، ولوضوحه.

- في قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ استعارة تصريحية، حيث استعار الظلمات للكفر والضلالة، والنور للإيمان والهداية.

(١) سورة الحديد. الآية: ١٢.

- في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ استعارة تمثيلية، مثلَّ حال المنفق بإخلاص بمنَّ يقرض ربه قرضًا واجب الوفاء.
- في قوله تعالى: ﴿مَأْوَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ تهكُّم بهم، أي: لا وليَّ لكم ولا ناصر إلا نار جهنم.
- بَيَّنَّ قوله تعالى: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ مقابلة.
- في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعارة تمثيلية؛ استعار إحياء الأرض بالنبات لإحياء القلوب القاسية بالقرآن وتلاوته.
- في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرْنَاهُ مُصْفَرًّا﴾ تشبيه تمثيلي؛ لأنَّ وجه الشبه متنزع من متعدد.
- في قوله تعالى: ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ مجاز مرسل علاقته المسببية، أي: إلى سبب مغفرة.

\*\*\*

## بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١ - كل شيء في الأرض والسماء يسبح بحمد الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢ - وجوب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا يقتضي الاشتغال بطاعة الله تعالى.
- ٣ - الإنفاق في سبيل الله من أعظم الطاعات والقربات.
- ٤ - الملك لله وحده، والعبد ليس له في ماله إلا التصرف الذي يرضي الله، فيثيبه على ذلك بالجنة.
- ٥ - للمؤمنين الذين عملوا الصالحات، والذين أنفقوا في سبيل الله أجرٌ كبيرٌ وهو الجنة.
- ٦ - ثواب الإنفاق أعظم إذا كانت الحاجة إليه أشد بسبب الأزمات والظروف الصعبة.
- ٧ - المنافقون لا يقبل منهم يوم القيامة فدية يدفعون بها العذاب عن أنفسهم، ومقامهم ومنزلهم النار، هي أولى بهم من كل منزل، وساءت مرجعاً ومصيراً.
- ٨ - تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الآخرة.
- ٩ - كل المصائب معلومة لله تعالى، مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل إيجاد الخليقة، وحفظ ذلك وعلمه هين يسير على الله تعالى.
- ١٠ - الله يبغض كل متكبر بما أوتي من الدنيا، فخوره به على الناس، ولا يرضى عنه، ويعاقبه.

(١) سورة الإسراء. الآية: ٤٤.

## الأسئلة

س ١: ما معنى: الأول، الآخر، الظاهر، الباطن؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

يَمَّا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

س ٢: ما معنى قوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى:

﴿عَبْدَهُ﴾؟ وما الآيات البيّنات؟

س ٣: ما إعراب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾؟ وما معنى ﴿يَسْعَى﴾؟ ولم خصّ

أيديهم وأيمانهم بالذكر؟

س ٤: وضح السر البلاغي فيما يأتي:

(أ) قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

س ٥: بين الحكمة من الإيمان بالقضاء والقدر وأثر ذلك على النفس البشرية.

س ٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

\*\*\*

## قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة .....
٥	أهداف الدراسة .....
٧	سورة الذاريات (مكية وهي: ستون آية) .....
٧	البعث حق: .....
٩	جزاء المتقين وصفاتهم: .....
١١	ضيف إبراهيم: .....
١٤	الاتعاظ بهلاك المشركين السابقين: .....
١٧	العبادة هي المقصود الأعظم: .....
١٩	من الأسرار البلاغية: .....
٢٠	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة: .....
٢٣	سورة الطور (مكية وهي: تسع وأربعون آية) .....
٢٥	نعيم المتقين: .....
٣٠	حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ: .....
٣١	من الأسرار البلاغية: .....
٣١	بعض ما يستفاد من الآيات: .....
٣٣	سورة النجم (مكية وهي: اثنتان وستون آية) .....
٣٣	صدق الوحي: .....
٣٥	عدم فائدة الأصنام: .....
٣٧	تسمية المشركين الملائكة بنات الله: .....
٣٨	جزاء المسيئين والمحسنين: .....

## تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٩	توبيخ بعض المشركين: .....
٤٠	من مظاهر العدل الإلهي: .....
٤٠	من مظاهر قدرة الله تعالى: .....
٤١	الاعتاظ بالقرآن: .....
٤٣	من الأسرار البلاغية: .....
٤٤	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة .....
٤٧	سورة القمر (مكيّة وهي: خمس وخمسون آية) .....
٤٧	قرب وقوع الساعة: .....
٤٨	الاعتاظ بهلاك المكذبين من الأمم السابقة: .....
٥٣	توبيخ مشركى مكة على عدم الاعتبار بهلاك السابقين: .....
٥٤	جزاء المجرمين والمتقين: .....
٥٦	من الأسرار البلاغية: .....
٥٧	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة .....
٥٩	سورة الرحمن (مدنيّة وهي: ثمان وسبعون آية) .....
٥٩	من نعم الله على خلقه .....
٦٢	من دلائل قدرته تعالى .....
٦٦	أحوال يوم القيامة .....
٦٧	فضل الخائفين من الله وجزاؤهم: .....
٧١	من الأسرار البلاغية: .....
٧٢	بعض ما يُستفاد من السورة الكريمة: .....

## تابع قائمة الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧٥	سورة الواقعة (مدنية وهي: سبع وتسعون آية).....
٧٥	أصناف الناس يوم القيامة: .....
٧٦	السابقون صفاتهم وجزاؤهم: .....
٧٨	أصحاب اليمين وجزاؤهم: .....
٧٩	أصحاب الشمال وجزاؤهم: .....
٨١	براهين البعث: .....
٨٤	صدق القرآن: .....
٨٨	من الأسرار البلاغية: .....
٨٩	لطيفة: .....
٩٠	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة: .....
٩٣	سورة الحديد (مكية وهي: تسع وعشرون آية).....
٩٣	تسبيحُ الله وتنزيهه: .....
٩٤	الحث على الإيمان والإنفاق: .....
٩٧	حال المنافقين يوم القيامة: .....
٩٨	تحذير المؤمنين من الغفلة عما نزل من القرآن: .....
١٠٠	حقارة الدنيا وتعظيم أمر الآخرة: .....
١٠١	الإيمان بالقضاء والقدر: .....
١٠٣	الغاية من بعثة الرسل: .....
١٠٥	من الأسرار البلاغية: .....
١٠٧	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة: .....